

شرارة فوق النيل



نجيب محفوظ



مكتبة مصر
٣ شارع كاسر صدق - الجيزة

To: www.al-mostafa.com

دار مصر للطباعة
ميد جوده السحار وفر كاه

في بيان حقيقة

في بيان حقيقة

الحقيقة

التي هي الحقيقة في الحياة
والتي هي الحقيقة في الحياة

من
في بيان حقيقة

— ١ —

الذي هو في بيان حقيقة
التي هي الحقيقة في الحياة
والتي هي الحقيقة في الحياة

ابريل ، شهر الغبار والاكاذيب ، الحجرة الطويلة العالية
السقف مخزن كتيب لدخان السجائر . الملفات تنعم براحة الموت
فوق الارفف ، ويالها من تسلية أن تلاحظ الموظف من جدية
مظهره وهو يؤدي عملا تافها . التسجيل في السراكي ، الحفظ في
الملفات ، الصادر الوارد ، النمل والمراصير والعنكبوت ورائحة
الغبار المتسللة من النوافذ المغلقة . وسأله رئيس القلم :

— هل أتممت البيان المطلوب ؟

فاجاب بلسان متراخ :

— نعم ، ورفعته للمدير العام .

فرماه بنظرة نافذة لاحت كإشعاع بلورى من وراء نظارته
السميكة . هل ضبطه متلبسا بابتسامة بلهاء غير مبررة ؟ !
ولكن هذه السخافات يجب أن تصاغ في إبريل ، شهر الغبار
والاكاذيب .

ودبت حركة عجيبة في رئيس القلم فشملت أعضائه الظاهرة
فوق المكتب . حركة تموجية بطيئة ولكنها ذات أثر حاسم . راح
ينتفخ رويدا فيمتد الانتفاخ من الصدر إلى الرقبة فإلى الوجه ثم

الرأس . حمله أنيس زكى فى رئيسه بعينين جامدتين . وإذا بالانتفاخ البادئ أصلا بالصدر يتضخم فيزدرد الرقبة والرأس . ماحيا جميع القسما والملاح . مكونا من الرجل فى النهاية كرة ضخمة من اللحم . ويبدو أن وزنه خف بطريقة مذهلة فمضت الكرة تصعد ببطء أول الأمر ثم بسرعة متدرجة حتى طارت كمنطاد والتصقت بالسقف وهى تتأرجح . وسأله رئيس القلم :
— لماذا تنظر إلى السقف يا أنيس أفندى ؟

أه . ها هو يضبطه متلبسا مرة أخرى . ورمقه الأمين بإشفاق واستهزاء . واهتزت الرؤوس فى رثاء احتفاء بملاحظة الرئيس وتأييدا لها . وإذن فلتشهد التجوم على ذلك . حتى الهاموش والصفاد تعامله أكرم والطف . أما العبة الرقطاء فقد أدت خدمة لا تتكرر للكمة مصر القديمة . أنتم وحدكم أيها الزملاء لا خير فيكم . والمزاء عندما نلتمس العزاء فى قول ذلك الصديق الذى قال : (فلتقم أنت فى العوامة . لن تتكلف مليما واحدا من إيجارها . وعليك أن تعد لنا كل شيء) .

وبتصميم مفاجئ . راح يسرك مجموعة من الخطابات : السيد المحترم . إشارة إلى كتابكم رقم ١٩١١ المؤرخ فى ٢ من فبراير ١٩٦٤ وملحقه رقم ٢٠٠٨ المؤرخ فى ٢٨ من مارس ١٩٦٤ أشرف بالإفادة . ومع رائحة القبار المتسللة ترامت من راديو الطريق أغنية (يا أم القمر ع الباب) فتوقفت يده عن الكتابة وغمغم :
(الله) فقال زميله الأمين :
— يا بختك بطراغ الببال .

يا أولاد الأقدمية المطلقة ! . فى انتظار حلم لن يتحقق تحترفون البهلوانية . وأنا بينكم معجزة تخترق الفضاء الخارجى بثير صاروخ . . .
ودخل السامى فسرت فى بدنه رعدة وغبة فقال له :
— واحد سادة .

فأجاب السامى وهو يقف أمام مكتبه :

— ستجده على مكتبك عندما ترجع من مقابلة سعادة المدير

العام .

غادر الحجرة بقامته الطويلة الضخمة بحكم ضخامة عظامه لا بسبب أى درجة من الامتلاء .

فى حجرة المدير وقف أمام مكتبه خاشعا . وظل رأس المدير الاصلع مكبا على أوراق يراجعها عارضا لعينيه ظهر قارب مقلوب . وطارده بالبقية الباقية له من إرادته أى خاطر يمكن أن يعيث به فيوقعه فى مأزق وخيم العقاب . ورفع الرجل وجهها مدببا مقضونا ثم رمقه بتظرة شوكية . أى خطأ يمكن أن يتمسك به إلى البيان الذى نقله بعناية خارقة ١٩ .

— طلبت منك بيانا مفصلا عن حركة الوارد فى الشهر

الماضى .

— نعم يا سعادة البك وقد قدمت لسماذتك .

— أهو هذا ؟

نظر إلى البيان فقرأ على الغلاف بخط يده (مذكرة عن حركة الوارد خلال شهر مارس مرفوعة إلى السيد مديرعام المحفوظات) .

— هو يا أفندم .

— انظر واقرأ ..

رأى أسطرا مكتوبة بوضوح يليها فراغ أبيض ، قلب الأوراق

في ذهول ، ثم حمل في وجه المدير العام كالابلة .

قال الرجل بحنق :

— اقرأ .

— لم يبدى المدير .. لقد كتبتها حرفا حرفا ..

— خبرنى كيف اختفت ؟

— الحق أنه لغز غير قابل للتفسير ..

— ولكن أمامك آثار سن القلم !

— سن القلم ؟

— أعطنى قلمك الساحر !

وتناول القلم بحركة حادة وراح يرسم خطوطا على غلاف

البيان ولكنه لم يرسم خطا واحدا .

— ليس به نقطة حبر واحدة !

تجلى الوجوم فى صفحة وجهه العريض فقال المدير

بمؤازرة :

— بدأت بكتابة هذه الأسطر ، ثم فرغ الحبر ، ولكنك

استمررت فى الكتابة ..

— لم ينبس بكلمة .

— لم تنتبه إلى أن القلم لا يكتب ..

— أتحرك يده حركة حائرة .

—

— خبرنى يا سيد أنيس كيف أمكن أن يحدث ذلك ؟

أجل كيف . كيف دبت الحياة لأول مرة فى طحالب فجوات

الصخور بأعماق المحيط !

— لمست أعمى فيما أظن يا سيد أنيس ؟

أحنى رأسه مستسلما .

— سأجيب أنا عنك . إنك لم تر الصفحة لأنك مسطول !

— يا سعادة ..

— هذه هى الحقيقة . حقيقة معروفة للجميع حتى السعاة

والفراشين ، وأنا لست واعظا . ولا ولى أمر . أفعل بنفسك ما

تشاء ، ولكن من حقى أن أطالبك بأن تمتنع وقت العمل عن

البليغة ..

— يا سعادة ..

— دعنا من السعادة والتعاسة ، حقق لى هذا الرجاء المتواضع

وهو ألا تبليغ فى أثناء العمل ..

— يشهد الله أنى مريض !

— إنك المريض الأبدى ..

— لا تصدق ما ..

— كفاية أنظر فى عينيك ..

— هو المرض ولا شئ سواه ..

— ما رأيت فى عينيك إلا الأحمرار والظلام والثقيل ..

— لا تستمع إلى كلام ..

— عيناك تنظران إلى الداخل لا إلى الخارج كبقية خلق الله ..

ثم نددت من يديه المغطاتين بشعيرات بيضاء شعناء حركة وعيد ، وقال بنبرة حادة :

— للصبر حدود ، فلا تستسلم للتدهور بلا حدود ، وأنت رجل فى الأربعين ، وهى سن العقل فكف عن العبث ..
تراجع خطوتين استعدادا للذهاب فقال الرجل :
— سأخضع من مرتبك يومين فقط ولكن احذر أن تعود .

وسمعه وهو يمشى نحو الباب يقول بازدياد :
— متى تفرق بين الحكومة والغرزة !

وبرجوعه إلى الإدارة ارتفعت الرؤوس نحوه مستطلعة تجاهلهم وجلس ينظر إلى فنجان القهوة . وشعر بزميلة وهو يميل نحوه ليصال سؤالا فى الغالب فتعمت فى ضجر :
— كن فى حالك ..

وأخرج من الدرج محبرة وراح يملأ القلم : عليه أن يعيد البيان من جديد . حركة الوارد . لا حركة البتة فى الحقيقة . حركة دائرية حول محور جامد ، حركة دائرية تتملى بالعبث . حركة دائرية تمرتها الحتمية الدوار . فى غيبوبة الدوار تختفى جميع الأشياء الثمينة . من بين هذه الأشياء الطب والعلم والقانون . والأهل المنسيون فى القرية الطيبة . والزوجة والابنة الصغيرة تحت غشاء الأرض . وكلمات مشتعلة بالحماس دفنت تحت ركام من الثلج . ولم يبق فى الطريق رجل . وأغلقت الأبواب والنوافذ . وثار الغبار لوقع سنابك الخيل . وصاح الممالك صيحات الفرع فى رحلة الرماية . كلما عثروا على آدمى فى

مرجوش أو الجمالية أقاموا منه هدفا لتدريبهم . وتضيق الضحايا وسط هتاف الفرع المجنون وتصرخ الثكلى : (الرحمة يا ملوك) فيتنقض عليها الصائد فى يوم اللهو ، بردت القهوة وتغير مذاقها ومازال المملوك يضحك ملء شديقه . وحل الصداق مكان الخيال وما زال المملوك يضحك . وهم يطلقون اللحى ويثيرون القباز . ويفرحون بالأبهة والتعذيب .

ودب نشاط مرح فى العجزة القاتمة مؤلنا بوقت الانصراف .

أما إذا كنت تمشي في هذه المدينة العريقة
فإنك ستجد في كل مكان من هذا الطراز
والذي كان يميزها في أيامها الأولى
والتي كانت تسمى في ذلك الوقت
بـ "البحر" أو "البحر" أو "البحر" أو "البحر"
والتي كانت تسمى في ذلك الوقت
بـ "البحر" أو "البحر" أو "البحر" أو "البحر"

— ٢ —

استوت العوامة فوق مياة النيل الرصاصية مألوفة الهيئة
كوجه . بين فراغ إلى اليمين احتلت عوامة دهرًا قبل أن يجرفها
التيار ذات يوم . ومضى إلى اليسار مقام على لسان عريض من
الشاطئ مطوق بمسور من الطين الجاف ومفروش بحصيرة
بالية . دخل أنيس زكى من باب خشبي أبيض يمتد إلى جانبه
سياج من شجيرات البنفسج والياسمين . فاستقبله عم عبده
الغفير قائما . يعلو بقامته العملاقة هامة كوخه الطيني المسقوف
بالأخشاب وسعف النخيل . ومضى إلى الصقالة فوق ممشى
مبلط يكتنفه من الناحيتين أرض معشوشبة . يتوسط يمتاها
حوض من الجرجير . وتقوم في أقصى اليسرى خميلة من
اللبلاب ترامت كخلفية لشجرة جوافة فارغة . وانهدت أشعة
الشمس ملحة حامية من خلال سقيفة من أغصان الكافور
منطرحة فوق الحديقة الصغيرة من أشجارها المفروسة في
الطريق .

خلع ملابسه . وجلس بجلبابه الأبيض فوق عتبة الشرفة
المطلّة على النيل يستقبل نسمة لطيفة . مستسلما للمساتها

العائية . جاريا ببصره فوق الماء المنبسط كأنه مستقر ساكن لا
يتموج ولا يتلألأ . ولكنه موصل جيد . الأصوات السكان في
عوامات الشاطئ . الآخر في صفها الطويل تحت أغصان الجازورينا
والاكاسيا . وتنهّد بصوت مسموع فسأله عم عبده وهو يعد المائدة
الصغيرة الملتصقة بالجدار الأيمن على مبعده متريين من القريجدير
النورج :

— خيرا ؟

فتمتم ملتفتا نحوه :

— صادف الكيف جوا فاسدا مقرنا .

— ولكنك تعود آخر الأمر إلى جوك الطبيب .

دائما ينتزع إعجابه . كشيء ضخم قديم عريق في القدم .
وبحيوية النظرة المنبثقة من دائرة التجاعيد الصلبة . وربما
أرهبه عمق الحفائر . أو هالة الشعر الأبيض الكث البارز من
جيب جلبابه كأزهار البلح . أما جلبابه الدمور المنسدل كنظام
تمثال فينسدل على اللحم بلا عائق . وما اللحم إلا جلد على عظم .
ولكن أى عظم ؟ ! هيكل عملاق يناطح رأسه سقف العوامة .
ويشع كونه جاذبية لا تقاوم . رمز حقيقى للمقاومة حيال الموت .
لذلك يحب كثيرا معادته رغم أن المعاشرة بينهما لم تجاوز
الشهر .

وقام إلى السفرة واتخذ مجلسه . وراح ياكل قطعة من
الكوستيلينة ممسكا بطرف الريشة وهو ينظر إلى الجدار الخشبي
المطلّى بفراء سماوى . ويتابع برصا صغيرا زحف مسرعا فوق

الجدار ثم انزوى وراء مفتاح الكهرباء ، وذكره البرص برئيس القلم ولكن لماذا ؟ - والحق عليه سؤال مباغت ترى هل يوجد للمعز لدين الله الفاطمي ورثة يمكن أن يطالبوا ذات يوم بملكية القاهرة ؟

— كم عمرك يا عم عبده ؟

— كان يقف وراء البارقان الحاجب للباب الخارجى مطلا عليه من عل كأنه شجرة سرو صارحة فى السحاب ، وابتمسم كأنما لم يأخذ السؤال مأخذ الجد :

— عمري !

— فأكد سؤاله بهزة من رأسه وهو يتعطق فعاد العجوز يقول :

— من أدرانى ..

— لست خبيرا فى تقدير الأعمار ، ولكن الراجح أنه كان يسمى فوق الأرض قبل أن تنفوس أول شجرة فى شارع النيل . ولم يزل قويا بالقياس إلى سنه لدرجة تفوق الخيال .

— يتفقد الفناطيس ، ويجذب العوامة بحبالها تبعا للأحوال فتطيعه ، ويمسقى الزرع ، ويؤم المصلين ، ويحسن طهى الطعام .

— هل تعيش وحدك دائما فى الكوخ ؟

— إنه بالكاد يسمتى وحدى ..

— من أى بلد جئت يا عم عبده ؟

— أووه !

— اليس لك من أقارب فى القاهرة ؟

— لا أحد .

— نحن شبيهان فى ذلك على الأقل ، أما طعامك فلفظي ..

— تشكر !

— إنك تاكل أكثر مما يجوز لشخص فى سنك .

— اكل ما أستطيع أن أهضمه ..

ونظر إلى العظام المتخلفة من الكوستليتة وقال إن المديرو العام لن يبقوا منه ذات يوم إلا عظام كهذه العظام ، وكم يود أن يشهد محاسبته يوم الحساب ، وراح يقشر موزة مواصلا تحقيقه :

— متى خدمت فى العوامة ؟

— مذ جئ به إلى مرساها .

— متى كان ذلك ؟

— أووه ..

— وصاحبها الأول هو صاحبها اليوم ؟

— تتابع عليها كثيرون

— وعملك هل يعجبك ؟

أجاب بزهر :

— أنا العوامة : لأنى أنا العبال والفناطيس ، وإذا سهوت

عما يجب لحظة غرقت وجرفها التيار ..

فضحك لاعتزازه الساذج الجذاب بنفسه ، وروا إليه مليا ثم

سأل :

— ما أهم شيء فى الدنيا ؟

— الصحة والعافية .

شيء غامض ساحر فى الإجابة أضحكك طويلا ، وعاد يسأل :

- متى عشقت امرأة أغرا مرة ؟
 - أروه ..
 - وبعد العشق ألم تجد شيئا يسرك ؟
 - قرة عينى فى الصلاة .
 - جميل صوتك وأنت تؤذن ..
 - ثم بنبرة مرحة :
 - ولست دون ذلك جمالا حين تذهب لتجزة - بالكيف أو
 تغيب لتعود بفتاة من فتيات الليل .
 فتهقه مانلا برأسه المغطى بطاقيّة بيضاء إلى الوراء ولكنه
 لم يجيب .
 - اليس كذلك ؟
 فاجاب وهو يمسح بيده الكبيرة على وجهه :
 - أنا خادم العمادة .
 كلا . وهو العمادة كما قال . العبال والفناطيس والزروع
 والطعام والمرأة والأذان .
 وقام متباطئا المنشقة فدخل من باب جانبيين فى ذات الجدار
 إلى العوض ليغسل يديه ، وعاد وهو يقول لنفسه إن الإفراط
 وحده كان السبب فى أن أكثر الخلفاء لم يعمرؤا طويلا .
 ورأى عم عبده منهمكا فى تنظيف المائدة منحني الظهر
 كنخلة مقوسة فسأله مداعبا :
 - ألم تر عفريتا فى حياتك ؟
 - رأيت كل شيء .



يا خفير اللذات ، لو لم تحب هذه الحياة لهجرتها من أول يوم

فغمز بعينه متسائلا :

- ألم تسكن أسرة شريفة هذه العوامة أبدا ؟

- أوره ..

- يا خفير اللذات ! لو لم تحب هذه الحياة لهجرتها . من

أول يوم ..

- ولكنني بنيت المصلى بيدي !

ونظر إلى الكتب المصفوفة فوق الأرفف التي تشغل الجدار

الطويل إلى يسار داخل .

مكتبة التاريخ منذ العصر الخالي حتى عصر الذرة . مجال

خياله وكثر أحلامه . وتناول كيفما اتفق كتاب ك . ك . عن

الرهينة في العصر القبطي ليطلع فيه ساعة أو ساعتين قبل

القبولة كمادته كل يوم . وفرغ عم عبده من عمله فاقتررب منه

مستطلما آخر تعليماته قبل أن يذهب : عند ذاك سأله :

- ماذا يجري في الخارج يا عم عبده ؟

- كالعادة يا سيدي .

- ألا جديد هناك ؟

- لم لا تخرج يا سيدي ؟

- كل يوم أذهب إلى الوزارة .

- أعني أن تخرج للفرجة ..

فضحك قائلا :

- ميماني تنظران إلى الداخل لا إلى الخارج كبقية عباد الله !

وصرفه وهو يوصيه بأن يوظفه قبيل المغرب إذا غلب النوم .



أعد المجلس كاحسن ما يكون . صفت الشلت على صورة هلال كبير فيما يلي الشرفة . وفي نقطة الوسط من الهلال استوت صينية نحاسية كبيرة . جمعت الجوزة ولوازمها . وهبط المقيب فوق الأشجار والماء فانتشر في الجو حلم هادئ . وأبت أسراب الحمام البيضاء تطير سراعاً فوق النيل . وتربع أنيس وراء الصينية راتياً إلى المقيب بعينين ناعستين على هيئتها بوجه عام ولكن عندما يمرى سحر الفص المذاب في القهوة السادة فسوف تتغير أشياء . ستحل الأشكال المجردة والتكميلية والسريرية والوحشية مكان الجازورينا والكافور والأكاسيا وعرائس العوامات أما الإنسان فيرتد إلى العصر الطحلبي . ولكن ما هي الأسباب التي حولت طائفة من المصريين إلى رهبان ؟ بل ما هي آخر نكتة سمعتها عن راهب وإسكاف ؟ . وسرت هزة خفيفة في العوامة بفعل قدم تسير فوق الصقالة فتاهب لاستقبال القادم . أقبلت فتاة معتدلة القامة ذات شعر ذهبي . مضت إلى الشرفة وهي تحبب بهرج فتمتم : — أهلاً بوزارة الخارجية

ليلي زيدان صديقة الأعوام العشرة الماضية . عانس في الخامسة والثلاثين كما ينبغي لرائدة في فضاء الحوية مرقنت من بؤرة محافظة . وأنت لم تمسها ولكن مسها الكبير . هذه التجاعيد الخفيفة كالزغب حول طرف العين والفم . ومسحة من الجفاف القاسي المقر لإناء لم يترع بماء . ولم تزل بها ملاحه تشتت في البشرة الصافية رغم غلظ في أرنبة الأنف ونذير غامض يزحف مهددا بالخراب . وكانت في عصر خوفو ترعى الغنم في شبه جزيرة سيناء ولكنها لم تترك أثراً إذ لدغها ثعبان أعمى فقضى عليها .

قالت دون أن تلتفت إليه كأنها تخاطب النيل : — يوم شاق في الوزاة . ترجمت عشرين صفحة فولسكاب . — وكيف حال السياسة الخارجية ؟ — ماذا تتوقع ؟ — أنا لا أطلب إلا المستر .. غادرت موقفها إلى أقصى شلطة في الجناح الأيمن للمجلس ثم جلست وهي تقول : — المنظر كما هو كل يوم . عم عبده جالس في الحديقة كتمثال . وأنت هنا تعد الجوزة ! — ذلك أن على الإنسان أن يعمل . وأذن إحساس مترويح فتمثل له المساء بشراً مابشاً قد عمر الملايين من المسنين . وراح يعرض بأمواة مابدة للحب . . كلما هجرها محب ارتمت بين أحضان آخر . وقال إن ذاك سلوك يمكن

أن تفسر به أوجه القمر المتتابعة من الحاق إلى البدر .
فابتسمت ابتسامة باردة وقالت بسخرية مقلدة نهبت
السابقة :

— ذلك أن على المرأة أن تحب !

وغمضت (وغد) فقرأ في وجهها نذيرا خفيفا بالغضب ولكنه
لم يعثر بأثر للكراهية فأمن بأنها لا تقاس في لهوها بامرأة مثل
نيكتوريا ملكة العصر المحافظ المشحون بالتقاليد .

وسألها دون جدية ما :

— لم لا تتخذين منى رفيقا ؟

ولما ألح عليها بعينيه أجابت :

— إنك إذا استعملت الحب يوما كمبتدا في جملة مفيدة

مستنسى حتما الخبر إلى الأبد !

وتذكر كم كان متفوقا في اللغة العربية مثل المدير الذي
يشهد له بذلك قراره بخمسة يومين من مرتبه لا شيء إلا لأنه
كتب صفحة بيضاء . وكما قالت له ذات يوم (أنت بلا قلب) فقد
ذهب الأصدقاء ولم يبق في العوامة منهم إلا خالد عزوز وليلى
زيدان . ودون أى تهديد قبض على ساعدها وقال : (أنت الليلة
لى أنا) . لماذا خالد دائما ؟ وخالد نفسه ورثك بعد هجر رجب لك .
وإذن فالليلة لى أنا . وارتفع صوته فاضبا مع أذان اللجر . أذن
عم عبده في الخارج وصرخت أنت كالجنون في الداخل . وبسط
خالد راحتيه ضارعا وهو يقول (فضحتنا) .

وضحكت ليلى أول الأمر ثم بكّت أخيرا ، وطرحت مسألة

غاية في الفلسفة فقيل إنها تحب خالد وأنها لذلك لا يمكن أن
تذعن لرغبته هو رغم صداقتهما وإلا كانت بغيا . وصاح ليلتها أن
الأذان أيسر على الفهم من تلك الالكاز .

وقالت ليلى ناشدة تصفية الجو :

— الصداقة أهم وهي التى لها البقاء .

— ولك طول البقاء !

وكرس كرسيًا يدخنانه معا في فترة الانتظار فجذبت نفسها
بشراهة ثم سعلت طويلا . وردد ما يقوله عادة من أن الكرسي
الأول هو كرسي السعال ثم يجيء الفرج بعد ذلك . وقال لنفسه
إنه لم يكن عجيبا أن يعبد المصريون فرعون ولكن العجيب أن
فرعون آمن بأنه إله .

واهتزت العوامة بقوة وقرامت أصوات مختلفة من الخارج ،
فنظر نحو المدخل المحجوب بالبارقان فرأى الأصدقاء يتتابعون في
حيوية ، أحمد نصر ، ومصطفى راشد ، وعلى السيد ، وخالد عزوز
.. مساء الخير .. مساء الجمال . وجلس خالد إلى جانب ليلى أما
على السيد فقد ارتقى إلى يمين أنيس هاتفا :

— أدركنا .. !

فراح أنيس يكرس ويرص ثم دارت الجوزة . وتساءل
مصطفى راشد :

— هل من أخبار من رجب ؟

فأجاب أنيس وهو يخمن :

— قال بالتليفون إنه في الاستديو وأنه سيحضر فور الانتهاء

من العمل .

وقالقت الجمرات في الجمرة : بلعل النسائم المتدفقة من
الشرفة . وبلغ نشاط أنيس أقصى مداه ، واكتسى وجهه الطويل
العريض بغبطة مستقرة وقال إن الذي جعل من تاريخ الإنسانية
مقبرة فاخرة تزدان بها أرفف المكتبات لا يخن عليها بلحظات
مصمحة بالمسرة

ونظر خالد عذور إلى على السيد متسانلا :

- هل عند الصحافة من أخبار جديدة ؟

فأوما على بذلته نحو ليلي زيدان قائلا :

- عند وزارة الخارجية

- ولكني سمعت أنباء مذهلة حقا ..

فقال أنيس ساخرا

- لا توجعوا رءوسنا ، ما أكثر ما نسمع ولكن ها هي الدنيا

باقية كما كانت ، ولا شيء يحدث على الإطلاق ..

فقال مصطفى راشد محروكا تفاحة آدم

- وفضلا من ذلك فإن الدنيا لا تهمننا كما أننا لا نهمن الدنيا

في شيء .

مد أنيس ردى

- ما دامت الجوزة دائرة فماذا يهمكم ؟

فرمقه خالد بإعجاب قائلا

- خذوا الحكمة من ألواء المساطيل

- سمعوا ما حصل لي اليوم مع المدير العام



وسألها دون جدية ما

- لم لا تتخذين مني رفيقا ؟

وأثارت حكاية قلعه ماصفة من الضحك حتى ملق عليها على
السيد قائلا :

— يمثل ذلك القلم تدون معاهدات السلام ..

واصلت الجوزة دوراتها المتفوق المشتعل ، وانعقدت هالة من
الهاموش حول مصباح النيون ، أما خارج الشرفة فقد استقرت
الظلمة واختفى النيل إلا أشكالا هندسية منتظمة وغير
منتظمة تنعكسها مصابيح الطريق في الشاطئ الآخر ونوافذ
بوابات المضافة وتجلت صلعة المدير العام كظهير قارب مقلوب
في قنطرة الظلام ووضح تماما أنه من سلالة الهكسوس فوجب
أن يرشد بر الصحراء وأسوأ ما يمكن أن تتوقع هو أن تنتهي
بسميرة كما شهِر شباب ليلى زيدان الأول وكالرماد الزاحف
على جواهر الجمرات ، ومن يا ترى الرجل الذي قال إن الثورات
يدبرها الدهاة وينفذها الشجعان ثم يكسبها الجبناء ؟

وجاء عم عبده فاخذ الجوزة ليغير ماءها ثم أعادها وذهب
بها إلى قصره وألقى خالد نمارته الذهبية فمسحها وهو ينوه
بجودته العظيمة وخرج أحمد نصر عن صمته المألوف
قائلا

.. إنه من نسل الديناصور !

فقال مصطفى راشد :

— لنحمد الله على أنه في أزدل العمر وإلا ما ترك لنا
امراة لنهنا بها ..

وأعاد أنيس على أسماعهم الحديث الذي دار بينه وبين الرجل

ظهر اليوم فقال على السيد :

— إن العالم في حاجة إلى رجل في عملاقته لتستقر
سياسته .

وحل صمت مؤقت فارتفعت قرقرة الجوزة ، وترامى من
الخارج نقيق ضفدع وصراخ صرار الليل ، ومن خلال الدخان
المنتشر استكنت يد ليلى في يد خالد ، أصدقاء العمر ، والعزاء ،
وألف أحمد نصر الطويل الأتني لا يضاهيه في شكله سوى أنف
على السيد وإن نهض الأخير في وجه أعرض وأميل للبياض ،
وتكلم الظلام خارج الشرفة فقال لا تكثرت لشيء ، انحدر صوته
مع شعاع نجم كابى الاحمرار قطع المسافة إلى غورتنا في مائة
مليون سنة ضوئية ، وقال أيضا لا تجعل من الحياة عبثا ، أجل
حتى المدير العام نفسه سيختفى ذات يوم كما اختفى الحبر من
قلمك ، ولم يعد للقلب من هم يحمله مذيق في التراب أعز ما
كان يملكه ، وإذا أردت حقا ارتكاب حماقة للفت الأنظار إليك
فتجرد من ثيابك وتبختر في ميدان الأوبرا ، وهناك ستجد
إبراهيم باشا فوق جواده وهو يشير إلى فندق الكونتنتال
كأطرف دعابة للسياحة في بلادنا .

— هل حقا سنموت يوما ما ؟

— انتظر حتى تذاق نشرة الأخبار .

— أنيس بك يتفلسف ..

— والحق أنه جاء بمزأل لم يسماله أحد من قبل !

تساءلت ليلى زيدان ؟

— ما آخر نكتة ؟

فاجاب مصطفى راشد :

— لم يعد هناك من نكات منذ أصبحت حياتنا نكتة سمجة .
ورنا إلى الظلمة خارج الشرفة فرأى حوتا هائلا يقترب في هدوء من العوامة . إنه ليس بأغرب ما رأى في النيل عند حثوم الليل لكنه لفرقاء هذه المرة كأنما يمتزم التهام العوامة . وتواصل الحديث بين المساطيل بلا مبالاة فقرر أن ينتظر ما يحدث بلا مبالاة . وإذا بالعوت يتوقف عن التقدم . وإذا به يغمز بعينه وهو يقول (أنا العوت الذي نجى يونس .) ثم تراجع وأخفى وعذرته صحك أنيس وسألت ليلى زيدان عما يضحكه فاجاب :

— خيالات غريبة .

— وما لنا نحن لا نرى شيئا ؟

فاجاب وهو لا يكف عن العمل :

— لا نرى شيئا . الأمر كما قال الشيخ الكبير (إن المتلفت لا يحمل)
وانهالت التعليقات بلا ضابط :

— لا شيخ لنا يا دجال .

— ولا يوجد متر مربع من الأرض بمنجاة من الزلزال .

— وهو لا يخلو كذلك من الرقص والغناء ..

— إذا أردت أن تضحك من القلب حقا فانظر إلى الأرض من

— يا بخت الالين مستقرهم فوق .

— ولكن بصدور اللانحة المالية الجديدة سيهدأ كل بال .

— هل تطبق اللانحة على الحيوان أيضا ؟

— روى فيها أن تطبق على الحيوان أولا ..

— وما هو القمر ينتظر المهاجرين .

— وأخشى ما أخشاه أن يضيق الله بنا .

— كما ضاق كل شيء بكل شيء .

— وكما يضيق رجب بعشيقاته ..

— وكما يضيق الضيق بالضيق .

— والحل ، ألا يوجد حل ؟

— بلى ، علينا أن نتماسك حتى نغير وجه الأرض .

— أو نبقى فيما نحن فيه وهو خير وأبقى .

واهتزت العوامة بقدوم آتية فتوقعوا ظهور رجب ولكن دخلت امرأة مرحة الحويوة لا يعيب جسمها الممتلئ إلا أن نصله الأعلى أضخم قليلا من الأسفل . منية كامل ! . قلبت بينهم عيني رما ديتين وتبادلت معهم القبلات . وأجلسها على السيد إلى جانبه وهو يقول :

— لم ترك من رمضان الماضي !

وقبل يدها مرتين ثم تصاهل :

— زيارة عابرة ؟

فكانت بنبرة متنطق الراء غيضا :

— زيارة دائمة .

— هذه يعنى أن زوجك قد هجرك !

فقالته وهى تتناول الجوزة :

— أو أننى هجرت ..

وتشت محابة شرهة وهى تقول إشباعا لحب الاستطلاع الذى اكتنفها

— ضبطته يغازل جارة جديدة !

— يا خبر أحمر ..

— ولعل صوتى حتى سمعه سابع جار !

— برافو ..

— وتركت البيت والأولاد وذهبت إلى أختى فى المعادى .

— أمر مؤسف ولكنه ضرورى لتجديد الحياة الزوجية .

— وأول ما خطر لى بعد ذلك أن أزور عوامتى .

— عين الصواب ، والعين بالعين ..

وأما مصطفى راشد إلى على السيد وهوىقول لها :

— يا سيدى ..

وتساءل أنيس غاضبا :

— لماذا لا يكون دورى أنا هذه المرة ؟

فقال على السيد ملاحظا :

— ولكنى احتياطى منية كامل منذ قديم ..

—

— يا سيدى ..
بالحب لكان لك منه ما تشاء وأكثر ..

— أنت ..

فأشار إلى الجوزة قائلا :

— بل لا وقت عندك للحب ..

— أوغاد ! .. سأقص عليكم ما حصل لى مع المدير العام ..

— لكنك قصصته بتفاصيله ، أنسيت يا ولى النعم ؟ !

— أوغاد ، هذا يعنى أن الحياة ستمضى قبل أن نستوعب ما

يمر بنا

ودارت الجوزة مختصة منية كامل برعاية أكبر بصفتها لم

تنسطل من رمضان الماضى . وقال أنيس لنفسه إنها سمراء

وعصبية وتحب الضحك . ولا تنسى أولادها حتى فى غيبوبة

الحب والسطل . وتعود فى النهاية إلى زوجها . لكنها تعاشره

عاما وتهجره عاما . وتقسم دائما أن العق عليه . وجاء بها رجب

أول مرة . كما جاء يوما بليلى زيدان . ذلك أنه إله الجنس ومعون

عوامتنا بالنساء . عرفت له جدا قديما كان يسمى فى الغابات قبل

أن يقام بناء واحد على ظهر الأرض . كان يدفن فى أحضان

النساء مخافه من الحيوان والظلام والمجهول والموت . كان له

رادار فى عينيه وراديو فى أذنيه وقنبلة مجسمة فى قبضة

يده . وحقق انتصارات عجيبة قبل أن يتهاوى هالكا ، وأما حفيده

رجب ..

واهتزت العوامة وترامى صوت رجب القاضى وهو يقول

مخاطبا شخصا معه (على مهلك يا عزيزتى ..)

حل فى نظراتهم الاهتمام فتمتم خالد :

— لعلها ممثلة جاء بها من الاستديو .

وظهر من وراء البارقان بقوامه المشوق وسمرته الداكنة
وقسماته الرشيقة تتقدمه فتاة دون العشرين عمرا ، سمراء
تنتظم وجهها المستدير قسمات صغيرة دقيقة تنطق بالخفة . ولا
شك أنه قوافى وجوه أصدقائه دهشة لحدائثها فقال باسمها
بنبرة الموسيقى :

— أنسة صفاء الرشيدى ، طالبة بكلية الآداب ..

— ٤ —

تركزت الاعين على القادمة الجديدة ولكنها لم ترتبك وأجابت
بنظرة باسمة جريئة .

وطوق وجب خاضعتها بذراعه وصار بها إلى مجلسه ثم
أجلسها إلى جانبه وهو يقول :

— أدركنى يا ولى النعم !

فتساءل أحمد :

— أمام الأنسة !

فقال مستنكرا :

— لا يجوز الكذب أمام معجبة صادقة !

وجذب نفسا طويلا عميقا قويا حتى توهجت دقات الجمرات
فوق الكرسي نافثة لسانا راقبا من اللهب . أغمض عينيهِ
تلذذا ثم فتحهما وهو يقول لسانا :

— دعينى أقدم لك الأصدقاء الذين سيصحبون منذ الليلة
أسرتك

وانتبه إلى وجود سنية كامل لأول مرة فصانحها بحرارة
وخمن أسباب مجيئها فوافقت بضحكة ، ثم راح يقدمها قائلا :

— من بنات الميردى ديبه ، زوجة وأم ، امرأة ممتازة حقا ،
وفى أوقات الكد والعناء تعود إلى أصدقائها القدماء ، سيدة
مجربة عرفت الأنوثة عذراء وزوجا وأما فهي تعد كنزا من الخبرة
للفتيات الصغيرات فى عوامتنا ..

وندت أصوات ضحك ، وابتسمت سناء ، أما سنية فرمت
بنظرة احتجاج لم تبلغ درجة الغضب ، وتحول إلى ليلى زيدان
قائلا :

— أنسة ليلى زيدان ، خريجة الجامعة الأمريكية ، مترجمة
بالخارجية ، جمال وثقافة إلى مركز باهر فى تاريخ المرأة الرائدة
من عذراء وعنى فكرة فإن شعرها ذهبى حقيقة لا زيف فيه ولا
صبغة ..

وتحول إلى أنيس زكى المنهمك فى عمله قائلا :

— أنيس زكى ، موظف بوزارة الصحة ، ولى أمر عوامتنا ،
رجل مثقف كحضرتك وهذه مكتبته ، وقد
خاف بكليات الطب والعلوم والحقوق فمضى بعلومها دون
شهاداتها كإنسان لا نهى المظاهر ، من أسرة ريفية محترمة ،
أبته بعض من دهر وحيدا فى القاهرة كإنسان عالمى ، ولا
تستطيع أن تتكلم ، بل لم يحادث كثيرا فهو يهيم فى الملكوت
والتفت إلى أحمد نصر قائلا :

— أحمد نصر ، مدير حسابات الشئون ، موظف خطير ،
مرجع فى عقيدة من الشرائع والمبادئ وكثير من الشئون
بعميقه مقبولة وله منة فى مثل سلك ولكم زوج شاذ يستحق

الدراسة ، تصورى أنه زوج منذ عشرين عاما ، لم يخن زوجه مرة
واحدة ، ولم يمل مشورتها ، ويزداد تعلقا بحياته الزوجية .. لذلك
أقترح أن يكون موضع دراسة فى المؤتمر الطبى القادم ..

وأشار إلى مصطفى راشد مستطردا :

— الأستاذ مصطفى راشد المحامى المعروف ، محام ناجح
وفيلسوف أيضا ، متزوج من مفتشة بوزارة التربية ، وهو يتطلع
بصدق إلى المطلق وسوف ينجح فى إدراكه ذات ليلة ، ولكن خذى
حذرك منه فهو يقول إنه ما زال يفتقد حتى اليوم أنموذجه المفضل
من النساء ..

وربت على ظهر على السيد قائلا :

— الأستاذ على السيد ، الناقد الفنى المعروف ، طبعا قرأت
له كثيرا ، وأحب أن أخبرك بأنه يحلم كثيرا بمدينة فاضلة
خيالية ، أما عن واقعه فهو متزوج من اثنتين ، وصديق سنية
كامل ، والبقية تأتى ..

وأخيرا أوما إلى خالد عزوز وهو يقول :

— الأستاذ خالد عزوز ، فى الصف الأول من كتاب القصة
القصيرة عندها ، يملك عمارة وفلا وسيارة وأسهما فى مذهب
الفن للفن ، فضلا عن ولد وبنت ، وله فلسفة خاصة لا أدرى كيف
اسمها ولكن الإباحية من سماتها الظاهرة ..

وابتسم إليها كاشفا عن أسنان بيضاء نضيدة ثم تمتم :

— لم يبق من عوامتنا إلا هم عبده الذى مورنا بشيعة فى
الحديقة ونحن فى طريقنا إلى هنا ، وسوف تعرفينه بطبيعة

الحال ، وما من أحد في شارع النيل إلا ويعرفه ..

ونادى أنيس عم عبده وأمره بتغيير ماء الجوزة فمضى بها من الباب الجانبى ثم أعادها بعد قليل وذهب ، واتسعت عيننا سناء مجبا لضخامته فقال رجب :

— من حسن الحظ أنه مثال الطاعة وإلا فلو شاء لأغرقنا جميعا ..

— لاخوف من الفرق مادام الحوت في الماء ، ويد الفتاة القاصر مسيرة كبد نابليون ولكن أضافرها حمراء مدببة كمقدم قارب مسنق ، ووجودها تكمل مجموعة قانون العقوبات المستحقة على عوامتنا

وما هو الظلام قد بدأ يتكلم .

تساءل مصطفى راشد محركا تفاحة آدم :

— وما تخصص الانسة في الآداب ؟

فاجابت بتبرة كفضول البنات :

— التاريخ

فتأوه أنيس

— الله !

فصاح به رجب

— ليس تاريخها بتاريخك الدامى ولكنها معنية بالاشياء الحلوة .

— ليس في التاريخ اشياء حلوة .

— كفرام أنطونيوكليوباطرة

— كان غراما داميا ..

— على أى حال لم يقتصر كله على السيف والحية .

وبدت سناء قلقة ، ونظرت نحو البارفان متسائلة :

— ألا تخافون البوليس ؟

فتساءل مصطفى راشد باسم :

— بوليس الآداب ؟

فقال بعد أن سكنت الضحك :

— والمباحث أيضا ؟

فقال على السيد :

— لأننا نخاف البوليس والجيش والانجليز والأمريكان

والظاهر والباطن فقد انتهى بنا الأمر إلى ألا نخاف شيئا ..

— ولكن الباب مفتوح !

— في الخارج عم عبده وهو كليل برد أى اعتداء .

وقال لها رجب باسم :

— لا تقلقى يا نور العين فالدولة منهمكة في البناء ولديها

ما يشغلها عن ازعاجنا ..

وقدم لها مصطفى راشد الجوزة قائلا :

— جربى هذا النوع من الشجاعة .

ولكنها اعتذرت برقة فقال رجب :

— خطوة خطوة ، لقد بدأ الانسان بأظافره وانتهى بالصاروخ .

لفوا لها سيجارة .

وفي دقيقتين قدمت لها سيجارة فتناولتها بشيء من العذر

ولكنها رشقتها حين شففتها ورمقها أحمد نصر بإشفاق فقال
أنيس لنفسه إنه يخاف في الحقيقة على ابنته ، ولو عاشت ابنتي
لكانت قريبة لسناء

ولكن ما قيمة أن تبقى أو أن تذهب ، أو أن تعمر كسلحفاة .
ولما كان الزمن التاريخي لا شيئا بالقياس إلى الزمن الكوني
فساء مصرة في الواقع لحواء ويوما ستحمل لنا مياة النيل
شيئا حديدا يستحسن ألا نسميه . فقال له صوت الظلام
(أحست) ولا تستعد أن أسمع ذات ليلة نفس الصوت وهو
بأنفسي معمر حارق يذهل له من لا يؤمن بالمعجزات . وقد قال
بعض من سدود كمت ولكن ما هي في الحقيقة إلا أفراد عالم
اشروا الوحدة فتباعدها عن بعضهم آلاف السنين الضوئية . فيا أي
شيء الفعل شيئا فقد طحننا اللاشيء .

وسألها أحمد نصر بحنان :

- وهل تجدين وقتا للمذاكرة ؟

فأجاب رجب :

- طبعاً ، ولكنها مولعة بالفن أيضاً .

فحذرت بسبابيتها قائلة :

- لا تجعل مني موضوعاً للممر .

- ويل لمن تحدث نفسه بشيء من ذلك .

فأجاب أحمد :

- تريد أن تكوني مثله ؟

فأبتسمت دون معارضة لما استطرد :

- ولكن ..

فقاطعه رجب :

- اسكت يا رجب ، إن أشنع تهمة في عصرنا هي الرجعية .

وأمسك بأصبعيه ذقنها فأمال وجهها إليه ثم قال وهو
يتفحصها باهتمام :

- دعيني أدرس وجهك ، جميل ، تضمثرضارته قوة خفية ،
بلحة مسكرة ذات نواة صلبة ، ونظرة فتاة قاصر ولكنها عند
التقطيب تشع دهاء امرأة ، أي دور يصلح لك ؟ ، لعله دور الفتاة
في سيناريو لغز البحيرة !

سألته باهتمام :

- ما دورها على وجه التحديد ؟

- فتاة بدوية تعب صيادا ماكرا ممن يتخذون من الحب لهوا .

يستهن بها أول الأمر ولكنها تؤدبه وتمشيه على العجين ..

- هل أصلح له حقا ؟

- إنما أنطق عن غريزة فنية يؤمن بها المنتجون والموزعون

مما ، لحظة من فضلك ، زمت شففتك ، أرىنى كيف تقبلين ،
أحذرى الخجل . الخجل عدو فن التمثيل ، أمام الجميع ، قبله
حقيقية بكل معنى الكلمة ، قبله يجب أن يتحسن بعدها الموقف
الدولى ..

وطوقها بذراعيه القويتين الطويلتين ، وتلاقت شفثاهما بقوة
وحرارة في صمت سكنت فيه الأشياء حتى القوقرة ، ثم صاح
مصطفى راشد :

— هذه لمحة من المطلق الذي أدهق نفسه في البحث عنه .
وقال خالد مزور بحماس متدفق :

- أيها السادة ، أهنئكم ، يجب أن نهني أنفسنا جميعا ، يجب أن نحبي هذه اللحظة الحضارية الرائعة ، والساعة يمكن أن نقول إن الغاشية قد اندحرت تماما ، وأن بديهيات أفلاطون قد تلاشت ، فتقبلوا يا سناء - بلا القاب من الآن فصاعدا - إعجابي ..

فكانت ليلى زيدان باسمه ؛

- دع لأحد غيرك الكلام إكراما لي ..

فقال متأسفا

- الفيرة ليست غريزة كما يقول الجاهلون - ولكنها ثراث إقطاعي !

كنت سعيدة يا رائحة النيل المضمخة ببغبر رحلة
هذه موهبة وثمة شجرة معمرة في البرازيل استوت على
سطح الأرض في أن يوجد الهرم . هل أنا وحدي بين هؤلاء
مساهل الذي يضاحك هذه الموجة المستهترة ؟ . هل أنا وحدي
الذي أسمعها ، هي تهمني أن أدق الدب أربعين دقة يتحقق لك
من ذلك أن يحقق ، فتمنى أنت بالمجموعة الشمسية لعب
في ذلك . كنت قد دعيت إلى معركة دامية وأنا أخضع

امثلة من خطبة خلدش في المصحة وراح يتناول نقوش
مصرية من عصر البطرك على هيئة دوائر متداخلة تفصل
بينها مساحات مملوءة بالخطوط المتعرجة والرمال والمطبات المفصل



وتلاقت شفتاهما بقوة وحرارة .. في
مسمت سكنت فيه حتى الترقوة .. !

وغما غفوة قصيرة حيث يجلس ولما فتح عينيه وجد مصطفى راشد وأحمد نصر قد ذهبا . وأغلقت الحجرة المطلة على الحديقة على ليلى وخالد . والحجرة الوسطى على سنية وعلى السيد . أما رجب وساء فقد وقفا فى الشرفة يتناجيان . لم تبق خالية إلا حجرة وأعلت الظن أنها ستفلق بابها فى وجهه هذه الليلة . وتناجى العروسان :

— كلا ..

— كلا ؟ .. حواب لا يلبق بمصرنا !

— مبرور أننى أذاكر عند صديقة ..

— فليكن الدرس عند صديق !

ومد ساقه فصدم الجوزة فالتقاها على جانبها فسال لعابها

أشهر ، ثم سحر عتمة الشرفة .

أهمية بشرى . حتى الراحة لا معنى لها . ولم يبدع

بشرى ما هو أفضل من المهلة

بشرى بظمة عند عمده تحجب ضوء المصباح الفارق فى

— ان الأوان ؟

— نعم .

بشرى بجميع الأدوات ويكسر النفايات بهمة عالية ثم نظر

بشرى بظمة

— من ذهب يس حذرت ؟

— فبها عروس حذره

— أووه .

— ألا يعجبك الحال ؟

فضحك قائلا .

— فتيات شارع النيل ألطف وأرخص .

فقبحه أنيس طويلا حتى جرى صوته مدويا فوق سطح النيل

وقال :

— يا جاهل ، وهل هؤلاء كأولئك ؟

— عندهن أعضاء أكثر ؟

— كلا ، ولكنهن سيدات محترمات .

— أووه .

— لا يبعن أنفسهن ولكنهن يمنحن ويأخذن كالرجال سواء

بسواء .

— أووه .

— أووه .

— وهل لذلك مستنام فى الشرفة حتى يفمك الندى ؟

فحياء مبتعدا وهو يقول :

— أنا ذاهب لصلاة الفجر .

ونظر إلى النجوم وراح يحصى منها ما يستطيع عدده .

وأرشفه العد حتى جاءت نسمة عطرة من حديقة القصر وهارون

الرشيد جالس على أريكة تحت شجرة مشمش وانحوارى يلعب بين

يديه وأنت تحبب له الخمر من إريق من الذهب ورق أمير

المؤمنين حتى صار أصفى من الهواء وقال لك

— هات ما عندك ..

ولم يكن عندك شيء فقلت قد هلك . ولكن الجارية ضربت
أوتار العود وغنت :

وأذكر أيام الحمى ثم أنشئ

على كبدي من خشية أن تصدعا

وليمت عشيات الحمى برواجع

عليك ولكن خل عينيك تدمعا

فطرب الرشيد حتى ضرب بيديه وزجله فقلت ها هي فرصة
لتهرب وانسحبت بخفة ولكن الحارس العملاق لمحك فاتجه نحو
محريت محرى وراءك شاهرا سيفه فصرخت مستغيثا بالرسول
الله فاقسم ليرمين بك في سجن بيتهم .

— ٥ —

استسلم للغروب بجسد منتعش بعد دش بارد . وانتشر في
الجو النعاس والهدوء الشامل ، وأمراب الحمام ترسم فوق النيل
أفقا أبيض . لو في الامكان أن يدعو المدير العام إلى العوامة
لضمن لنفسه هدوءا كالغروب ولاستل من قبخته البرنزية
أشواكها المؤذية .

وحسا آخر حسوة من الفئجان السادة المزوج بالسحر ولحق
بلسانه الروامب

وجاء الأصدقاء تباعا كما جاء رجب وسناء . طيلة أسبوع
وهما متلازمان ، وأنست سناء أخيرا إلى الجوزة حتى همس أحمد
نصر في أذن رجب (البنت صغيرة !) ولكنه أجابه همسا أيضا
وهو مرتكز بكوعه على ركبة أنيس (لست أول فنان في حياتها !)
وجعلت ليلى زيدان تردد (الويل لمن تحترم الحب في عصر لا يكن
للحب احترام) . ولم يجد أحمد نصر من يقضى إليه بأفكاره
المحافظة إلا أنيس المسالم فقال على أذنه قائلا :

— جميل أن تدمى ساقطة الامس بفيلسوفة اليوم !

فأجابه أنيس :

— هذا ما آل إليه حال الفلسفة بصفة عامة .

ولفرق على السيد بأصابه ملفتا الأنظار إليه ثم قال بجديّة

— على فكرة يجب أن أبلغكم رسالة قبل أن تنسلطوا ..

فاتجهت إليه بعض الأنظار فقال بصوت واضح .

— سعادة بهجت ترغب في زيارة العوامة !

استقرت عليه الأبصار في اهتمام شامل ، حتى أنيس نفسه

وإن لم يكف من العمل .

— الصحفية ؟

— رميلتي الجميلة النابضة !

تقضت فترة صمت للاستيعاب والهضم ، وتجلت في الأعين

سمرات عامسة حتى تسأل أحمد نصر

— يمكن ماذا ترغب في زيارتنا ؟

— أنا المسئول عن إثارة اهتمامها بكم بأحاديثي المريضة عن

سعادتي ..

فقال بترديد

— أنت صديق سعادتي ولكن أنتحب صاحبك العوامات ؟

— ليس الأمر كذلك ولكنها تعرف أو تسمع عن أكثر من

شخص في العوامة . أنا مثلاً صديق وزميل ، خالد عزوز من

فلسطين ، أنت من فلامنك

— هل مندها فكرة عما يدور هنا ؟

— تقريبا ، دعونا ليس بالعريب عليها بحكم عمالها وخبرتها

صديقي ..

— إذا حكمنا عليها بما تكتب فهي جادة لدرجة الرعب .

— وإنما كذلك في الواقع ولكن في كل إنسان جانب يشد

العلاقات الإنسانية العادية .

فتساءل أحمد نصر في شيء من الضيق :

— هل لها جولات مماثلة ؟

— أظن ذلك ، هي ودود حقاً وتحب الناس ..

فقال أحمد نصر أيضاً :

— ولكنها مستصاير حريتنا ..

— لا .. لا .. لا ، لا تحمل هما من هذه الناحية ..

— هل تشاركننا فيما نحن فيه ؟

— إلى حد ما ، أعني في الأمور البريئة ..

— البريئة ! .. هذا يعني أننا سنكون موضوع تحقيق

صحفي !

فقال بتوكيد :

— إنها قادمة للتعارف لا لشيء آخر .

لا تهتم بالموضوع أكثر من ذلك وإلا ضاع التدخين هباء .

وتذكر كيف استقبل الفرس أول نبأ عن الغزو العربي . وابتسم .

ورأى على سطح الصينية عديداً من الهاموش الهالك فخطر له

أن يسأل :

— إلى أي نوع من الكائنات ينتمي الهاموش ؟

اعترض السؤال أفكارهم في تطفل مزيج ولكن مصطفى

راشد أجاب صاخراً :

— من الحيوانات الثديية .

واستطرد على السيد قائلا :

— ما على الرسول إلا البلاغ . فإذا لم يرق لكم دعوتها ..

لكن رجب قاطعه قائلا :

— لم نسمع رأى الجنس الآخر ؟

ولم تبد ليلى زيدان اعتراضا ، ولا سنية كامل ، أما سناء

فـ

— لنندع الرأى لانيس وأحمد ومصطفى فهم فى حاجة إلى

صديقة !

ولكن على السيد اعترض قائلا :

— لا .. لا يصح التفكير فى ذلك .. لا تخرجونى وحياة أمكم ..

فتساءلت سناء وهى تزيج بأناملها خصلة ضالة عن حاجبها :

— إذن لماذا تود أن تجيء ؟

— قلت ما فيه الكفاية ..

فتساءل أنيس :

— إذا كان الهاموش من الحيوانات الثديية فما وجه الإصرار

على أن صاحبكم ليست من ذلك النوع ؟

فقال على السيد موجها خطابها للجميع دون توقف منذ

مقاطعة أنيس

— حريثكم مكفولة فى كل شيء ، فى القول والفعل ، فى

التدخين والبذاءة ، لا تحقيق ولا دراسة ، ولا أى نوع من المكر

لسمي ثقة بمدى دلى الثقة . ولكن لا يلحق أن تعامل معاملة

امرأة عابثة !

— أعنى أنها أنسة فاضلة ، كائى واحدة منكن ، لا تقبل أن

تعامل كامرأة مستهترة ..

فقال أحمد نضر :

— الحق أنى لا أنهم شيئا ..

— هذا هو المتوقع منك دائما أيها القرن التاسع عشر ، ولكن

الجميع يفهموننى بلا صعوبة على الإطلاق ..

فقال خالد عزوز :

— لعلها رغم مقالاتها الأسبوعية برجوازية قحة .

— ليست من البرجوازية فى شيء مما تعنيه ..

وقال مصطفى راشد :

— قدم لنا منها فذلك مفيدة ..

— حسن ، هى فى الخامسة والعشرين ، ليصانئ لغة

انجليزية، وقد حصلت عليه وهى دون العشرين بقليل ، صحفية

ممتازة أكبر بكثير من سنها . وذات آمال أدبية ترقو أن نتحقق

ذات يوم ، ممن يأخذن الحياة مأخذ الجد وإن تكن لطيفة المعشر .

ومعروف أنها رفضت زواجا برجوازيا فأخرا رغم مرتبتها الصغير .

— لماذا ؟

— الرجل دون الأربعين ، مدير مؤسسة ، صاحب عمارة كشال

عزوز ، فضلا عن أنه قريب لها من ناحية الأب ولكنها لم تكن نعمة

فيما اعتقد ..

فقال خالد :

— إذا صبح الحكم عليها من قلبها فهي فتاة متطرفة ..

— قل إنها تقدمية ، ولكنها صادقة مخلصه ..

— هل اعتقلت مرة ؟

— كلا ، إنها زميلتي منذ عيشت في مجلة كل شيء .

— لعلها اعتقلت وهي طالبة ؟

— لا أظن ، وإلا كنت عرفت في أثناء أحاديثنا الطويلة ، على

أى حال لا أقطع في ذلك برأى ..

متساءلت سناء

— ماذا يضطركم إلى استضافة امرأة خطيرة لا يمكن أن تعدنا

بأى تسلية ؟

فغالت ليلى زيدان :

— يجب أن تأتي ، نحن في حاجة إلى دم من نوع جديد .

معلق على السيد

— سافوا على رأى ، إنها الآن في النادي فإذا شئتم دعوتها

السيدة

فصالة أنيس :

— هل أخبرتها بأن الذى يجمعنا ها هنا هو الموت ؟

لم يجبه ، ولكنه اقترح أخذ الاصوات . وضحك أنيس

لذكريات محنطة . واقترح أن يدمى مع عبده للإدلاء بصوته .

وطوق رجب سناء بذراعيه على حين نهض على السيد إلى
التليفون .

— ٦ —

بعد المكالمات التليفونية بنصف ساعة غادر على السيد مجلسه

ليستقبل القادمة عند الباب . وما لبثت العوامة أن اهتزت

هزتها الانسيابية لوقع الأقدام الضاربة فوق الصقالة . وتمنى

أحمد نصر لو كانوا أخفوا الجوزة وأدواتها حتى تطمئن القلوب

إلى الزائرة ولكن رجب القاضى أشار إلى أنيس قائلاً باستهانة :

— كرم ورم ..

ظهرت من وراء البارقان باسمعة الوجه ، وتقدمت - يتبعها

على السيد - وهي تتلقى النظرات المركزة في هدوء ودى ودون

ارتباك ، وقف الرجال جميعا . حتى أنيس وقف في جنبابه

الأبيض المنحصر عن أسفل ساقيه ، وقام على السيد بالتعرف

التقليدى ، واقترح أحمد نصر أن يجيء لها بكرسى ولكنها

رغبت في الجلوس على شلثة فالتصق رجب - بحركة لا إرادية -

بسناء ملمسها لها مكانا إلى جانبه ! . واستأنف أنيس عمله وهو

يسترق إليها النظر . توقع ما سمع أن يرى شيئا غريبا . وهي

حقا ذات شخصية ولكن أنوثتها جذابة بلا عائق . ورغم ثقل

جفنية رأى سميرتها المتبدية بلا رنوش . وملامحها واضحة

كانافتها البسيطة ولكن في نظرتها ذكاء يصد عن اكتناه أغوارها
وخيل إليه أنه رآها من قبل ولكن في أى عصر من العصور
الغابرة ؟ وهل كانت ملكة أو من الرعية ؟ . وعندما استرق إليها
النظر مرة أخرى طالعت بصورة جديدة ! حاول أن يستوعبها
ولكن التركيز أزهقه فحول عينيه إلى الليل .

وأعقب ضجة التعارف والمجاملات المعتادة صمت ، وغنت
الفرقة مع صرار الليل . ولباقة لم تخص سمارة الجوزة بأية
نظرة قد تنم عن شره . ولما امتدت بها يد أنيس إليها تلقت الغاب
بين شفتيها دون أن تدخن على سبيل التحية ثم أمرتها إلى
رجب ، وتناول رجب وهو يقول :

— كى من على راحتك

استعنت نحوه قاشة

— شهدت من فيلعل الأخير (شجرة بلاثمر) وأشهد أنك

بيت رجب متعوق راسع

— سمعك تو سمعك يدخل من الشاء ولكنه تساءل في حذر :

— رأى أم مجاملة ؟

— بل رأى . وهو رأى الملايين .

ونظر أنيس من خلال الدخان إلى سناء فراها تروض خصلة

من ثمة هي المنجودة . وانقسم المدير العام نفسه بماله من سلطة
مصر قدها بـ عشرة . العامة للضئون المالية والإدارية لا يتجاوز
تتمدد من ضئون الهواء والسمار . وشمة آلاف من الشهب تتناثر
من الشواظ لتعزق وتعدد منهالة على حوال الأرض دون أن تمر

بالأرشيف أو تسجيل في دفتر الوارد . أما الألم فقد خُص به
القلب وحده .

وإذا بسمارة تقول مخاطبة خالد عزوز :

— أما أنت فآخر ما قرأت لك أقصوصة الزمار .

ثبت خالد النظارة على عينيه . فاستطردت :

— الزمار الذى انقلب مزماره إلى حبة تسمى ..

فقال مصطفى راشد :

— وقد استحق منذ نشرها أن يدعى بحق خالد الحنش !

— قصة غريبة ومثيرة .

فقال على السيد :

— صديقنا نجم مدرسة الفن للفن . ولا تتوقعى أن ينبثق من

عوامتنا فن آخر !

وقال مصطفى راشد .

— وعما قريب سينبثق منها أدب العبث المعروف

باللامعقول ..

فقال رجب :

— ولكن اللامعقول موجود بيننا بوفرة حتى قبل أن يوجد

كلن . زميلك على السيد معروف بأحلامه اللامعقولة . ومصطفى

راشد يجرى وراء اللامعقول باسم المطلق . وولى أمر عوامتنا

حياته كلها لا معقولة مذ هجر الدنيا من حوالى عشرين عاما .

فضحكت سمارة متجاوزة وقارها وقالت :

— أنا شيخنة حقا منذ حدثنى قلبى بأننى واجدة عندكم أشياء

محبة مشيرة

فتساءل رجب

— قلبك الذى حدثك أم وشايات على السيد ؟

— لم يقل إلا خيرا .

— على ذلك فبمست عوامتنا بالوحيدة في نوعها ؟

— ربما ولكن ما أكثر الناس وما أقل من يصلح للصداقة

—

- تصورت أن الصحفي هو آخر من يقول ذلك..؟

— الناس يلقوننا عادة بالوجه الذى يلقون به الفوتوغرافيا .

فقره ۳۰۰

٥- بحر صدق والفطرة البرينة فمضى تبادليتنا

1. 2. 3. 4. 5. 6. 7. 8. 9. 10. 11. 12. 13. 14. 15. 16. 17. 18. 19. 20. 21. 22. 23. 24. 25. 26. 27. 28. 29. 30. 31. 32. 33. 34. 35. 36. 37. 38. 39. 40. 41. 42. 43. 44. 45. 46. 47. 48. 49. 50. 51. 52. 53. 54. 55. 56. 57. 58. 59. 60. 61. 62. 63. 64. 65. 66. 67. 68. 69. 70. 71. 72. 73. 74. 75. 76. 77. 78. 79. 80. 81. 82. 83. 84. 85. 86. 87. 88. 89. 90. 91. 92. 93. 94. 95. 96. 97. 98. 99. 100. 101. 102. 103. 104. 105. 106. 107. 108. 109. 110. 111. 112. 113. 114. 115. 116. 117. 118. 119. 120. 121. 122. 123. 124. 125. 126. 127. 128. 129. 130. 131. 132. 133. 134. 135. 136. 137. 138. 139. 140. 141. 142. 143. 144. 145. 146. 147. 148. 149. 150. 151. 152. 153. 154. 155. 156. 157. 158. 159. 160. 161. 162. 163. 164. 165. 166. 167. 168. 169. 170. 171. 172. 173. 174. 175. 176. 177. 178. 179. 180. 181. 182. 183. 184. 185. 186. 187. 188. 189. 190. 191. 192. 193. 194. 195. 196. 197. 198. 199. 200. 201. 202. 203. 204. 205. 206. 207. 208. 209. 210. 211. 212. 213. 214. 215. 216. 217. 218. 219. 220. 221. 222. 223. 224. 225. 226. 227. 228. 229. 230. 231. 232. 233. 234. 235. 236. 237. 238. 239. 240. 241. 242. 243. 244. 245. 246. 247. 248. 249. 250. 251. 252. 253. 254. 255. 256. 257. 258. 259. 260. 261. 262. 263. 264. 265. 266. 267. 268. 269. 270. 271. 272. 273. 274. 275. 276. 277. 278. 279. 280. 281. 282. 283. 284. 285. 286. 287. 288. 289. 290. 291. 292. 293. 294. 295. 296. 297. 298. 299. 300. 301. 302. 303. 304. 305. 306. 307. 308. 309. 310. 311. 312. 313. 314. 315. 316. 317. 318. 319. 320. 321. 322. 323. 324. 325. 326. 327. 328. 329. 330. 331. 332. 333. 334. 335. 336. 337. 338. 339. 340. 341. 342. 343. 344. 345. 346. 347. 348. 349. 350. 351. 352. 353. 354. 355. 356. 357. 358. 359. 360. 361. 362. 363. 364. 365. 366. 367. 368. 369. 370. 371. 372. 373. 374. 375. 376. 377. 378. 379. 380. 381. 382. 383. 384. 385. 386. 387. 388. 389. 390. 391. 392. 393. 394. 395. 396. 397. 398. 399. 400. 401. 402. 403. 404. 405. 406. 407. 408. 409. 410. 411. 412. 413. 414. 415. 416. 417. 418. 419. 420. 421. 422. 423. 424. 425. 426. 427. 428. 429. 430. 431. 432. 433. 434. 435. 436. 437. 438. 439. 440. 441. 442. 443. 444. 445. 446. 447. 448. 449. 450. 451. 452. 453. 454. 455. 456. 457. 458. 459. 460. 461. 462. 463. 464. 465. 466. 467. 468. 469. 470. 471. 472. 473. 474. 475. 476. 477. 478. 479. 480. 481. 482. 483. 484. 485. 486. 487. 488. 489. 490. 491. 492. 493. 494. 495. 496. 497. 498. 499. 500. 501. 502. 503. 504. 505. 506. 507. 508. 509. 510. 511. 512. 513. 514. 515. 516. 517. 518. 519. 520. 521. 522. 523. 524. 525. 526. 527. 528. 529. 530. 531. 532. 533. 534. 535. 536. 537. 538. 539. 540. 541. 542. 543. 544. 545. 546. 547. 548. 549. 550. 551. 552. 553. 554. 555. 556. 557. 558. 559. 560. 561. 562. 563. 564. 565. 566. 567. 568. 569. 570. 571. 572. 573. 574. 575. 576. 577. 578. 579. 580. 581. 582. 583. 584. 585. 586. 587. 588. 589. 590. 591. 592. 593. 594. 595. 596. 597. 598. 599. 600. 601. 602. 603. 604. 605. 606. 607. 608. 609. 610. 611. 612. 613. 614. 615. 616. 617. 618. 619. 620. 621. 622. 623. 624. 625. 626. 627. 628. 629. 630. 631. 632. 633. 634. 635. 636. 637. 638. 639. 640. 641. 642. 643. 644. 645. 646. 647. 648. 649. 650. 651. 652. 653. 654. 655. 656. 657. 658. 659. 660. 661. 662. 663. 664. 665. 666. 667. 668. 669. 670. 671. 672. 673. 674. 675. 676. 677. 678. 679. 680. 681. 682. 683. 684. 685. 686. 687. 688. 689. 690. 691. 692. 693. 694. 695. 696. 697. 698. 699. 700. 701. 702. 703. 704. 705. 706. 707. 708. 709. 710. 711. 712. 713. 714. 715. 716. 717. 718. 719. 720. 721. 722. 723. 724. 725. 726. 727. 728. 729. 730. 731. 732. 733. 734. 735. 736. 737. 738. 739. 740. 741. 742. 743. 744. 745. 746. 747. 748. 749. 750. 751. 752. 753. 754. 755. 756. 757. 758. 759. 760. 761. 762. 763. 764. 765. 766. 767. 768. 769. 770. 771. 772. 773. 774. 775. 776. 777. 778. 779. 780. 781. 782. 783. 784. 785. 786. 787. 788. 789. 790. 791. 792. 793. 794. 795. 796. 797. 798. 799. 800. 801. 802. 803. 804. 805. 806. 807. 808. 809. 810. 811. 812. 813. 814. 815. 816. 817. 818. 819. 820. 821. 822. 823. 824. 825. 826. 827. 828. 829. 830. 831. 832. 833. 834. 835. 836. 837. 838. 839. 840. 84

وهي تفتتح

مستند من مكتب : و فامنحنى اقصر مدة ممكنة .

حمل أنيس الجمرة إلى عتبة الشرفة بعد أن زودها بقطع من

لحم به هريس منقوشة به الهواء وراج ينقشر واتسعت المراكز

من ١٩٩٥ حتى ٢٠٠٠

فقد سمعت سمعة والدلت عن عشرات من الأسماء الصغيرة

ثم تلاقت أجنتها مكونة موجة

مكتبه مدبره : مكتبة الاسراف بررقه خيالبه ، شم ازلت

المسجونين من عصفور الشرور وصرفت أصوات

واعترف فيما بينه وبين نفسه

01

بإعجابه غير المحدود بالنار . إنها أجمل من الورد والأعشاب
والفجر البنفسجي . فكيف أمكن أن تطوى بين جوانحها أكبر قوة
مدمرة ؟ . يجب إذا أسعفتك الهمة أن تقص عليهم قصة الإنسان
الذى أكتشف النار . ذلك الصديق القديم الذى كان له أنف على
السيد وجاذبية رجب القاضى وعملقة عم عبده . وأبين ذهبت
الفكرة الطريفة التى اعتزمت طرحها للمناقشة عندما حملت إلى
الشرفة الحمراء ؟ ! .

وقال مصطفى راشد :

— أنا محام ، والمعاصي بطبيعته سيء ، الخلق ، وإكاد أتمخيل الآن

ما يدور في رأسك عنا ..

—

— لا شيء في رأسى مما تظن ..

– مقالاتك تزخر بالنقد الموير السلبيية ، ونحن يمكن أن نجد –

في نظر البعض - السلبية نفسها !

— لا .. لا ، لا يجوز الحكم على الناس في أوقات فراغهم .

فقالت رجب ضاحكا :

— إنها بالأحرى أعمار فراخ !

— لا تذكرنى بأنى غريبة عنكم

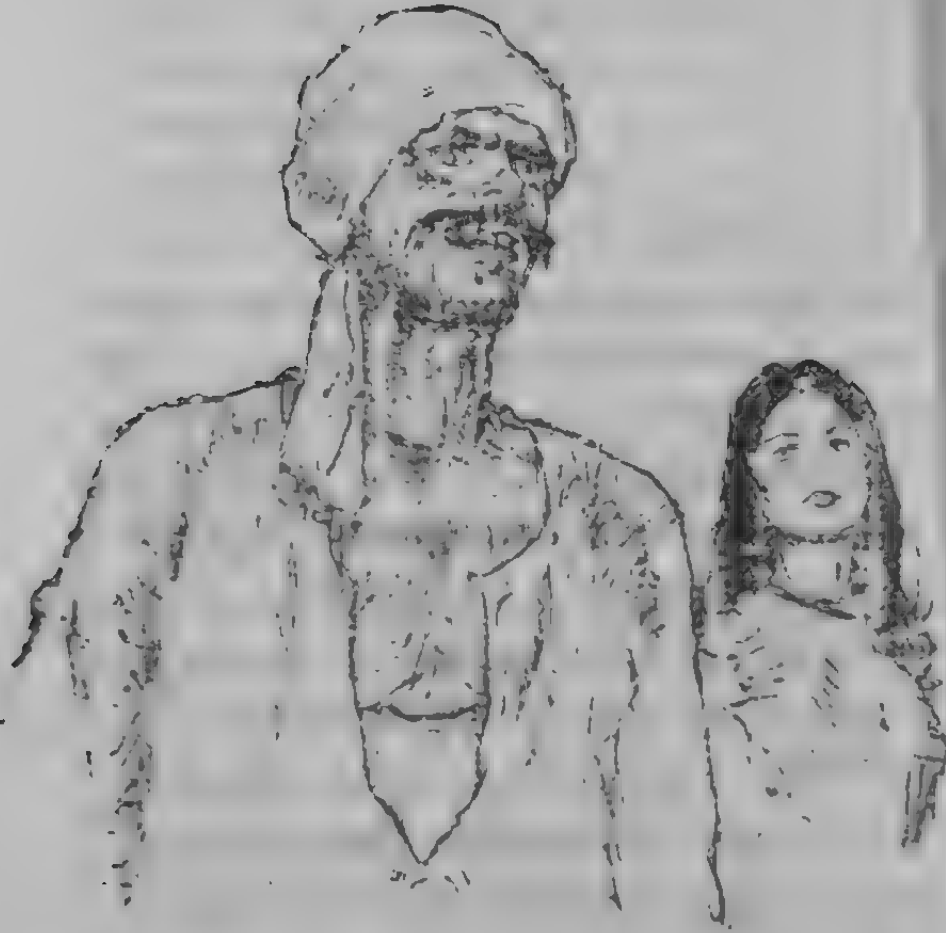
فقال أحمد نصر

— قلة ذوق أن نجعل من أنفسنا موضوعا للحديث بينما أن

المهم حقا هو أن نعرف عنك ما تجهله .

— لسمت لفرا

وقال علي السعيد



يا له من عملاق جذاب !!

— ومقالات الكاتب تتكفل بالكشف عنه ..

فساله مصطفى راشد :

— هل تفعل ذلك مقالاتك النقدية ؟

وضح المكان بالضحك . حتى على السيد ضحك طويلا .

وقال وما زالت أساريره ضاحكة :

— إني أحكم أيها المنحلون المصريون ومن شابه أصدقاء ..

فما ظلم . ولكن هذه الفتاة صادقة للأسف !

فقال خالد عزوز :

— من قلم يكتب عن الاشتراكية على حين تحلم أكثرية

بالتغيير بالقتل والإشراء وليالي الأنس في العمورة ..

فتساءلت سمارة :

— هل تناقشون هذه الأمور كثيرا ؟

— كلا . ولكننا ندفع إليها إذا مرض أحدهم بحالنا .

ونادى أنيس عم عبده فجاء العجوز العملاق ومضى بالجوزة

من الباب الجانبى ثم رجع بها بعد أن غير ماءها .

ثم رجع عم عبده مرة ثانية طيلة حضوره ثم تمتعت عقب

الزواج

الزواج من عملاق جذاب ..

ومر على السيد أنه الشخص الوحيد من أهل العمارة الذى

يعلمه ..

— هو عملاق حقد . لكنه لا يكاد يتكلم . يعمل كل شيء . ولكنه

لا يتكلم . لا يمد يد . ويحول إليها كثيرا أنه غارق أبدا فى لحظة

الراهنه ولكن لا يمكن الجزم فى ذلك بشئ قاطع ، وأعجب شئ
أنه قد يصدق عليه أى وصف . فهو قوى وهو ضعيف ، وهو
موجود وغير موجود ، وهو إمام المصلى الجارر وهو قواد !

نضحكت صمارة طويلا ثم قالت :

— الحق أنى أحببته من أول نظرة !

فقال رجب بتلقائية :

— عفى لنا !

نظرت سناء إلى الليل كالهاربة ولكنه طوق خاصرتها بذراعه
كالمعتذر . واقتحمت رأس أنيس تساؤلات شتى ، هل اجتمع هؤلاء
الاصدقاء — كما يجتمعون الليلة — بثياب مختلفة فى العصر
الرومانى ؟ وهل شهدوا حريق روما ؟ . ولماذا انفصل القمر عن
الأرض جاذبا وراءه الجبال ؟ . ومن من رجال الثورة الفرنسية
الذى قتل فى الحمام بيد امرأة جميلة ؟ ، وما عدد الذين ماتوا من
مناصره بسبب الإمساك المزمع ؟ . ومتى تشاجر آدم — بعد
الهبوط من الجنة — مع حواء لأول مرة ؟ . وهل فات حواء أن
تحمله مسئولية المأساة التى صنعتها بيدها ؟ .

ونظرت ليلى زیدان إلى صمارة متسائلة :

— وهل تبقيين دائما فى كامل وعيك ؟

— القهوة والسجائر ولا شئ غيرهما ..

فقال مصطفى راشد :

— أما نحن فقد نسمع مرة من خطة حاسمة للقضاء على

المخدرات فلا ندرى ماذا يمكن أن يبقئ لنا ..

— لهذه الدرجة !

وذكر رجب بأن لديهم ويسكى أيضا فوجبت بكأس فقام
بنفسه وأعدها لها . ثم تساءلت عن سر تعلقهم بالجوزة فلم يتطوع
أحد بجواب حتى قال على السيد :

— إنها محور جلستنا ، ولأسعادة حقيقية لنا إلا فى هذه
الجلسة .

وافقت بهزة من رأسها على أنها جلسة سعيدة حقا ، وإذا
بسنية كامل تقول لها :

— لا تهربى . لديك ما تقولينه مما يدخل فى صميم الموضوع .

— لا أريد أن أردد الإكليشيهات المحفوظة ولا أحب أن أسقط
كالتمثيليات الهادفة !

فقال أحمد نصر :

— ولكننا نحب أن نعرف آراءك ؟

— إنى أعلنها تباعا كل أسبوع .

ثم تساءلت بعد رشقة من الويسكى :

— ولكن ما أراؤكم أنتم ؟

فقال مصطفى راشد :

— نحن نعمل للرزق فى نصف اليوم الأول ، ثم نجتمع بعد
ذلك فى زورق ليسبح بنا فى الملكوت .

فسألت باهتمام حقيقى

— ألا يهكم حقا شئ مما يدور حولكم ؟

— قد ينلغنا أحيانا كمادة لضمكنا .

ابتسمت ابتسامة غير مصدقة ، فقال مصطفى راشد :

— لعلك تقولين لنفسك إنهم مصريون ، إنهم عرب ، إنهم
شبه . ثم إنهم مثقفون ، فلا يمكن أن يكون هناك حد لهمومهم ،
الحق أننا لا مصريون ولا عرب ولا بشر ، نحن لا ننتمى لشيء إلا
هذه العوامة ..

ضحكت كما تضحك لنكتة فماد مصطفى يقول :

— ما دامت الفناطيس بحالة جيدة ، والحبال والسلاسل
متينة ، وعم عبده صاهرا ، والجوزة عامرة ، فلا هم لنا ..
— لماذا ؟

تفكرت قليلا ثم تراجعت قائلة :

— لن أستدرج للهاوية ، كلا . لن أسمح لنفسى بأن أكون
ثقبلة الدم كتمثيلية هادفة ..
فقال على السيد :

— لا تصدقنى كلام مصطفى حرفيا ، لعنا أنانيين بالدرجة
التي صورها ، ولكننا نرى أن السفينة تسير دون حاجة إلى رأينا
أو معارفتنا ، وأن التفكير بعد ذلك لن يجدى شيئا ، وربما جر
وراءه الكدر وضغط الدم ..

ضبط الدم . كالصنف المشوش . وطالب الطب يمرض
بالوهم أول عهده بالمدرسة . والمدير العام نفسه ليس أسوا من
المشرحة . أول يوم فى المشرحة . كاول تجربة للموت فى أعز ما
ملكك . وهذه الزائرة مثيرة من قبل أن تتكلم . جميلة ورائحتها
حلوة . والليل أكذوبة بما هو نهار صلبى ، وعندما يطلع الفجر

تخرس الأكسنة . ولكن ما الشيء الذى تود تذكره طيلة الجلسة
دون جدوى ١٩ .

وقال خالد عزوز مخاطبا سمارة :

— قلمك ذو اعتماد أدبى .

— ولكنه لم يجرب بعد .

— لا شك أن لديك خطة !

— على أى حال إننى مفومة بالمرح .

فسأل رجب محتجا :

— والسينما ؟

— إنها بعيدة عن طموحى .

فقال رجب :

— ما المسرح إلا كلام !

فقال مصطفى راشد باسمها :

— كعوامتنا سواء بسواء .

فقالت باهتمام :

— العكس هو الصحيح ، المسرح تركيز ، وكل كلمة فيه يجب
أن يكون لها معنى .

— وهذا هو الفارق الجوهرى بينه وبين عوامتنا .

وتلاقت عيناها بعينى أنيس وهو يدبر الجوزة فكأنها
اكتشفتة وقالت له :

— لم لا تتكلم ؟

إنها تستدرجك لتقول لك عند الجد (لست بفيا) . وهى

تذكرنى بشيء لا أنذكره . ومن الجائز أن تكون كليوباترة أو المرأة
التي تبيع المعسل بدرب الجماميز . وهى من مواليد برج العقرب .
ألا تعلم بأننى على موعد مع فكرة مجردة ذات طابع جنسى ؟

وقال مصطفى راشد معذرا عنه :

— إن من يعمل لا يتكلم .

— ولم يعمل وحده ؟

— إنها هوايته المفضلة وهو لا يسمح لأحد بمصادمته .

وقال رجب القاضى

— إنه ولى أمر عوامتنا ، وندعوه أحيانا بولى النعم : وأى

من منا بالقياس إليه هار مبتدىء فهو لا يفيق أبدا ..

— على الأقل فهو يجد نفسه ملقبا عقب الاستيقاظ صباحا ؟

— دقائق معدودات يصرخ فيها طالبا القهوة السادة ..

فألحت فى توجيه الخطاب إليه قائلة :

— أجبنى بنفسك عما تفعل فى تلك الدقائق ؟

فقال دون أن يرفع عينيه إليها :

— اتساءل لماذا أحيا ؟

— عال ، وبماذا تحيب ؟

— أنمطل هادة قبل أن أجد الفرصة .

وضحكوا أكثر مما يجب وضحك معهم . وقلب عينيه بين

النساء من خلال الدخان المتفجر . لا تعكس عين محبة للزائرة .

وثمة أسد واحد يلتهم اللحم ويرمى للآخرين بالعظام . وعظام

الزائرة الجديدة متروعة بنخاع مزيج .

ولكن مادام الهاموش حيرانا شديدا فلا خوف علينا . والحق
أنه لولا أن الكواكب تدور حول الشمس لتحقق لنا الخلود .

ونظر رجب فى ساعة يده ثم قال بجدية :

— أن لنا أن نكف عن الهذيان ، الليلة علامة طريق فى

حياتنا، لأول مرة يشرفنا إنسان جاد منده شيء ليس عند أحد

مننا . ومن يدري فلعلنا مع الأيام نعرف الجواب عن أسئلة كثيرة

ظلت حتى اليوم بلا جواب ..

فرمقته بحذر متسائلة :

— أتسخر منى يا أستاذ رجب ؟

— معاذ الله ، ولكننى أبنى آمالا على انضمامك إلى

مجموعتنا ؟

— وعندى نفس الرغبة ، ولن أخيب فرصة كلما سمح الوقت .

وتفشت حركة انهزام مستسلمة فاستعد الجالسون للذهاب .

حلت اللعنة التى تجعل لكل شيء نهاية . أهى هذه الفكرة التى

استمصت طويلا على الذاكرة ؟ . ولم يبق فى الجمرة إلا رماد .

وذهبوا تباعا حتى انفرد بوحده . ليلة أخرى تموت . والليل

يرامقه خارج الشرفة . وها هو عم عبده يرد المكان إلى صورته

الأولى .

— أرايت الزائرة الجديدة ؟

— على قد النظر .

— يقال إنها من رجال البوليس ؟

— أووه .

ولما هم الرجل بالذهاب قال له :

— عليك أن تبحث لى عن فتاة مناسبة فى الظلام ؟

— الليل تأخر وليس فى الطريق شىء ..

— تحرك أبها البنيان ..

— وقد توضحت لصلاة الفجر .

— أطمع فى خلود أخلد مما أنت فيه ؟ .. تحرك ..

التقط من نافضة عقب سيجارة من السجائر التى دخننها فى

أثناء الجلسة . بقى منها الفلتر البرتقالى وعقب أبيض مخفوط

فتأملها طويلا ثم أعادها إلى موضعها وسط مجموعة من الهاموش

الهالك . وتضوع من القيل شذا مائى ذو نكهة أنثوية . وخطر له

أن يتسلى بعد النجوم ولكن أعوزته الهمة . إذا لم يكن فى النجوم

من يعنى برصد كوكبنا ودراسة أحوالنا الغريبة فنحن ضائعون .

وترى كيف يفسر الراصد مجلسنا الضاحك ما بين اجتماع شمله

حتى نفوذه ؟ . سيقول ثمة تجمعات دقيقة تنفث غبارا مما يكثر

فى الغلاف الجوى للكواكب وتصدر عنها أصوات مبهمه لا يمكن

فهمها ما دمنا لم نصل بعد إلى معرفة أى فكرة عن تكوينها .

ويزيد حجم التجمعات بين مرة وأخرى مما يدل على أنها تتكاثر

بطريقة ما . ذاتية أو خارجية . ولذلك فمن غير المستحيل أن

يوجد نوع من الحياة البدائية فى ذلك الكوكب البارد خلافا للرأى

القائل باستحالة وجود حياة فى غير الأجواء النارية ، ومن

المعجيب أن هذه التجمعات الدقيقة تختلف لتعود من جديد

ويتكرر الحال على ذلك المنوال دون هدف واضح مما يرجح معه

الرأى القائل بعدم وجود حياة بالمعنى الصحيح على الأقل . وحسر

الجلباب عن ساقية المشمرتين وضحك عاليا ليرى الراصد ويسمع .

وقال بل لنا حياة وقد أوغلنا فى الفهم حتى أدركنا إلا معنى

وصوف نوغل أكثر فأكثر ولا أحد يستطيع التكهن بما سيكون .

ولن تكون أدهش من يوليوس قيصر إذ دأبته الحساء الخالدة

بارزة من البساط المنطوى . ويسأل القائد الذاهل :

— من الفتاة ؟

فتجيب مبتلئة ثقة بجمالها :

— كليوباترة ملكة مصر .

اعتمد صور الشرفة بساعديه وانيا إلى الغروب الهادئ ،
والنسيم يلاطفه نافذا من طوق جلبابه ، حاملا إليه فيما يحمل
من شذا الماء والنبات صوت عم عبده وهو يؤم المصلين غير بعيد
من العوامة . ومذاق القهوة السادة ما زال يجرى مع ريقة ، أما
خياله فلم يتخلص بعد من ابن طولون الذى ساح بعض الوقت —
قبيل القيلولة — فى عصره . فى الفترة القصيرة التى تلى
حتماء القهوة وتسبى الرحلة يتوقع عادة أن يقع شيء ما
فيحلبه حزن غامض لغير ما سبب . ولكن هزة خفيفة رقصت
بالعوامة فتسائل عن القادم المبكر وغادر موقفه إلى الصالة
عندما ظهرت من وراء البارافان سمارة بهجت . اقتربت منه
باسمة وهو ينظر إليها بدهشة حتى تصافحا . اعتذرت عن
قدومها المبكر فرحب بها مسرورا بحق ، ومضت إلى الشرفة
بحماس كأنما تتصل بالنيل اتصالا مباشرا لأول مرة ، وجالت فى
نحاس الغروب بعين جذلة . وتأملت طويلا أشجار الأكاسيا أندوزا
بازهارها الملونة بمصير من الحمرة والبندسج . وتحولت إليه
فتبدلا النظر بحب استطلاع من ناحيتها وقليل من الارتباك من

ناحيته ، ثم دعاها إلى الجلوس ولكنها ذهبت أولا إلى المكتبة إلى
يسار الداخل فجرت على الأرفف بنظرات مستطلعة ثم عادت
فاتخذت مجلسا إلى جانب مجلسه الذى يتوسط الهلال . وجلس
بدوره ، ثم رحب مرة أخرى بزيارتها السعيدة المبكرة بعد غيبة
أسبوع . وقارن بين ملابسها البسيطة المكونة من قميص أبيض
وجونيل رماذية وبين جلبابه الأبيض ، وقال لنفسه لعله لأسباب
تتعلق بمهنتها أو بجديتها أن طوق القميص لا ينحصر على شيء
من مشارف ثدييها كالأخريات . وإذا بها تسال :

— أكنت متزوجا وأبا حقا ؟

وقبل أن يجيب اعتذرت بنبرة متراجعة عن تطفلها قائلة إنه
خيل إليها مرة أن على السيد ذكر ذلك فى معرض حديث عن
أصدقائه . وأجاب بإحناة من رأسه ، ولما رأى مزيدا من التطلع
فى عينيها العسليتين الجميلتين قال :

— وأنا طالب ريفى وحيد بالقاهرة ، وماتت الأم وطفلتها فى
شهر واحد بمعرض واحد ..

ثم استطرد فى بساطة موضوعية :

— كان ذلك منذ عشرين عاما ..

وتذكر قصة الذبابة والعنكبوت . وتذكر بضيق أنه لم يكد
ببدأ الرحلة بعد . وأشفق من أن يتلقى كلمة رثاء ولكنها أعربت
عن مشاعرها بصمت غير قصير . ثم التفت نحو المكتبة وقالت :

— وقيل لى أنك تدمن التاريخ والثقافة ولكنك فيما أعلم لا
تكتب .. ؟

رفع حاجبيه العريضين المتناسبين مع صفحة وجهك الطويلة
العريضة الشاحبة ، وبدا مستنكرا أو هازنا فابتسمت وتساءلت :
— لم إذن انقطعت عن دراستك ؟
— لم أوفق للنجاح ثم انقطعت عنى الموارد فتوظفت فى
وزارة الصحة بوساطة طبيب من أساتذتى السابقين ..
— لعل العمل لا يناسبك ؟
— لست أسفا على كل شيء ..
ونظر فى ساعة يده ، ثم صب قليلا من الكحول فى قارورة
على الفحم وأشعله يعود ثقاب ثم حمل الجمرة إلى عتبة الشرفة ،
ولكنها عادت تسال
— ألا تشعر بالوحدة أو بأنه لا يجوز أن ..
فقاطعها ضاحكا
— لا وقت عندي لذلك .
فضحكت بدورها قائلة :
— على أى حال أنا سعيدة لأنى وجدتك فى وعيك هذه المرة .
— لست فى وعيى تماما ..
وتابع نظرتها إلى الفحم الأخذ فى الاشتعال فابتسم ثم أشار
إلى فنجال القهوة الذى لم يبق فى قعره إلا شمالة من راسبه
البنى . وصلت بالواقع ثم راحت تثنى على الحياة فوق النيل
فصارحها بأنه حديث عهد بنسبها بهذه الحياة الجميلة .
— أقعنا فى شلق كثيرة ولم نسلم مرة من تطلل الجيران !
وإذا به يضحك ضحكة جديدة منقطعة بجوها الطائر عما سبقها

فنظرت إليه متسائلة ، فكرر الضحك ، ثم أشار إلى رأسه قائلا :
— بدأت الرحلة .. وعيناك جميلتان !
— ولكن ما العلاقة بين هذا وذاك ؟
فقال بتقرير يقينى :
— لا علاقة بين شيء وشيء ..
— ولا حتى بين طلبة رصاصة وموت انسان ؟
— ولا هذا ، فالرصاصه اختراع معقول ، أما الموت ..
فضحكت وقالت :
— أتدرى ؟ .. لقد تعمدت أن أجىء مبكرة لأخلو إليك !
— لم ؟
— لأنك الوحيد الذى لا يكاد يتكلم .
فأعلن رفضه برفع حاجبيه ولكنها أصرت على رأيها قائلة :
— حتى لو كنت تتكلم مع نفسك طول الوقت !
وفصل بينهما الصمت فراح ينظر إلى السحاب المتكاثف ،
وأدرك أن حضورها المبكر فوت عليه مراقبة المساء وهو يتسلل
بخطاه الوثيدة . ولكنه لم يأسف على ذلك ، وترامت من الفارج
مسلة معروفة لديه فغمغم ، عم عبده ، فتحدثت عن الرجل
باهتمام وطرحت طائفة من الأسئلة ولكنه أجابها بأن الرجل لا
يمرض ولا يئثر بالجو ولا يعرف عمره كما يخيل إليه أنه لن
يموت . وسألته :
— هل تلبون دعوتى إذا دعوتكم إلى سميراميس ؟
فقال بجزع ..



— يبدو أنني لا أعجبك !
— إنك الطف من قطر الندى !

— لا أظن ، وهنى أنا فهو مستحيل ..

وأكد لها أنه لا يقدّر العوامة إلا إلى الأرضيف . فقالت .

— يبدو أنني لا أعجبك .

فقال مدافعا

— إنك الطف من قطر الندى !

وفى أثناء ذلك كان الليل قد هبط . ومادت العوامة تحت وقع
أقدام كثيرة وارتفعت ضوضاء فوق الصقالة . وانزعجت سمارة
لتأرجع العوامة فقال لها

— نحن نعيش فوق الماء فنهتمز لوقع أى قدم ..

وتتابع ظهور الأصدقاء من وراء البارقان ، ودهشوا لوجود
سمارة ولكنهم رحبوا بها بحرارة . وفسرت سنية كامل ذلك
لتكبير تفسيراً من نوع خاص فهتات أنيس فى دعابة ! . وما لبث
أن دب النشاط فى يديه فدارت الجوزة .

وأعد رجب القاضى لسمارة كأساً من الويسكى . ولحظ أنيس
نظرة سناء المتسللة من تحت خصلات شعرها إلى سمارة فابتسم .
وابتهج كثيراً لتوهج الجمرات . ومد ذراعه بالجوزة إلى سمارة
فتنحت عنها ولكنه أثار عليها موجة من التحريض الفاضل .
وسكت كل شيء إلا القرقرة . ثم اجتاحت المجلس تعليقات شتى .
الطيارات الأمريكية ضربت فيتنام الشمالية . كازمة كوبا
تذكرون ؟ . وأما عن الإشاعات فهي لا تحصى . وهناك الهاوية
التي يرقد على حافتها العالم واللحوم والجمعيات التعاونية .
وهل من جديد عن العمال والفلاحين ؟ . والرشوة والعملة الصعبة.

والاشتراكية واكتظاظ الطرقات بالسيارات الخاصة ، وقال أنيس لنفسه كل ذلك يستقر في جوف الجوزة ثم يتبخر دخانا ، كالملوخية التي طبخها عم عبده . وشعارنا القديم : لو لم أكن لتعنيت أن أكون . وعندما يتوهج في السماء نور كهذه المجرمة يقول المرصد إن نجما قد انفجر وانفجرت بالتالى مجموعته الكوكبية وانتشر الكل غبارا . وذات مرة تساقط الغبار على سطح الأرض فنشأت الحياة . وتقول لى بعد ذلك سأخضم من مرتبك يومين . أو تقول لى لست بغيا . وقد لخص المعنى ذلك فى بيت لا أذكره ولا يهمنى أن أذكره . كان أعمى فلم ير مسمارة وهى معاصرة له

— زوجى يسمى للصلح .

— لا سمح الله ..

أعمى فلم ير . انقطع الخيط وتبدد شيء بهيج . المهم أن نحافظ على .. على ماذا ؟ . وغدا لدينا عمل مرهق لمناسبة الحساب الختامى . فى معتقل الارشيف . متحف الحشرات أما الهاموش فحيوان مديى

وقالت مسمارة

— لكنك شعراء جميلة بكل معنى الكلمة .

فقال خالد وكان واضحا أنه يعنى ليلى زيدان :

— مشكلتها الحقيقية هى مشكلة الوطن كله وهى أنها فتاة مصرية أما الزوج لبرجوازى ..

نظر إلى الليل فرأى مصابيح الشاطئ . الآخر تنساب فى

باطن النهر كاعمدة من نور . ومن عوامة بعيدة عن مجال البحر حمل النسيم أنغام غناء وموسيقى فلعله عرس كما غنى محمد العربى ليلة دخلتك : شوفوا العجب حببت فلاحه . وقال العم فليحفظك الله وليممر بيتك بالذرية الصالحة ولكن خذ بالك فلم يبق إلا فدانان . . ما أجمل القرية عندما تمبق الحديقة بأزهار اللارنج . تسكر كالشذا المنتشر من خلف أذان الهوام .

— يا له من اقتراح !

قالت سمارة بحماس :

— لكنه جميل وهو تعارف حقيقى لا زيف فيه ..

— ولكن ما المقصود باقتراحك ؟

— أعنى الهم الأول الذى يشغل الشخص .

— أهو تحقيق صحفى ؟

— إن داخلكم فى شك فعلى أن أذهب من فورى .

فقال أحمد نمر بحذر :

— إذن فلنبدا بك . حدثينا عن همك الأول فى الحياة ؟

لم تفاجأ بالسؤال فيما بدا وقالت ببساطة موحية بالصراخ :

— أهم ما يشغلنى الآن هو أن أجرب نفسى فى كتابة

المسرحية .

فقال مصطفى راشد بخبث :

— المسرحية لا تكتب لغير ما سبب !

جذبت نفسها متمهلا من السجارة . وهى تضيق عينيهما

متفكرة مترودة فابتسم على السيد ابتسامة نعت على مشاركة

وجدانية وقال يشجعها :

— واضح من أن جو عوامتنا لا يتقبل من الحديث إلا السخرية
والعبث ، ولكنك فتاة قوية فيما أعتقد وعليك أن تتحدى جونا ..
فأرخت عينيها كأنها تنظر إلى الجمرة وقالت :
— ليكن ، الحق أنى أو من بالجديّة !

وانتهالت الأسئلة . أى جديّة ؟ الجديّة لحساب أى شيء ؟ .
أليس من الجائز أن نؤمن بالعبث بجديّة ؟ والجديّة تتضمن أن
يكون للحياة معنى فما المعنى ؟ . وصاح رجب :
— أمامكم ساحرة ستحول بقلمها المهزلة إلى دراما هائلة ،
ولكن هل تؤمنين حقاً بذلك ؟
— أود ذلك —

— تكلمى بصراحة ، خبرينى كيف . لا شك أننا نرحب من
قلوبنا بهذه المعجزة .
وتذكروا الأسس العالية التى استقر عليها المعنى قديما ،
وسلموا بأنها ذهبت إلى غير رجعة ، فعلى أى أساس جديد نقيم
المعنى ؟ . وقالت بإيجاز
— إرادة الحياة !

وتبادلوا الأفكار ، إرادة الحياة شيء صلب مؤكد ولكنها قد
تفنى إلى العبث . أجل ما المانع ؟ وهل تكفى لخلق البطل ؟ ثم
إن البطل هو من يخشى بإرادة الحياة نفسها فى سبيل شيء آخر
هو أسمى فى نظره من الحياة فكيف يتأتى ذلك الشيء المجيب ؟
— ما أعنيه هو أن نتجه عند البحث إلى إرادة الحياة نفسها

لا إلى أساس يتعذر الإيمان به . إرادة الحياة هى التى تجعلنا
نتشبهت بالحياة بالفعل ، ولو انتحرونا بمقولنا ، فهى الأساس
المكين المتاح لنا ، وقد نسمو به على أنفسنا ..
فقال مصطفى راشد :

يمكن تلخيص فلسفتك بأنها تستبدل بشعار (من فوق لتحت)
شعار (من تحت لفوق) ١ .

— لا فلسفة هناك ولكن هذا هو همى الأول ، وقد جاء دوركم .
عليكم اللعنة . ليس أعدى للكيف من التفكير . وعشرون
جوزة كادت تضيق هباء . ولا شيء يبدو راسخ الإيمان كشجرة
البليخ . كما أن إصرار الهاموش يستحق الإعجاب . ولكن إذا فقدت
أنت عمر الخيام حرارتها فقل على الراحة السلام . وجميع هؤلاء
الساخرين تكوينات ذرية . وها هو كل فرد منهم يتحل إلى عدد
محدود من الذرات . فقدوا الشكل واللون ، اختلفوا تماما ، ولم
يعد منهم شيء . يرى بالعين المجردة ، وليس ثمة هناك إلا أصوات .
صوت رجب القاضى :

— همى الأول هو الفن .

صوت مصطفى راشد .

— الحقيقة أن همى الأول هو الحب ، أو بالأحرى النساء !

صوت سمارة فى نبوة مرتابة :

— أهذا هو همك حقا ؟

— بلا زيادة ولا نقصان ..

واستدرج صوتها صوت على السيد للإحاطة فقال

— همى الأول هو النقد الفنى !

صوت مصطفى راشد متhekما :

— كلام فارغ ، همه الحقيقى هو العلم ، العلم فى ذاته بصرف

النظر عن محتواه ، أما النقد فهو لا ينقد إلا مجاملة لصديق أو

هجومًا على عدو أو لابتزاز قدر من المال !

— ولكن كيف يريد للعلم أن يتحقق !

— لا يهمه ذلك البتة ، ولكن إذا جادت الجوزة بالنعيم دعه

أنفه الهائل وقال تأملوا يا أولاد المسافة التى قطعها الإنسان من

الكهف إلى الفضاء ! ، يا أولاد الزنا صوف تلهون بين النجوم

كالآلهة

واتجه التحقيق نحو أحمد نصر فتردد صوته قائلاً :

— همى الأول هو المستر !

صوت مصطفى راشد متطفلاً :

— هذا الرجل له شأن آخر ، هو مثلاً مسلم ! يصلى ويصوم ،

وزوج مثالى يثقف من نساء العوامة موقف المصريين من الأحداث ،

ولعل همه الأول هو أن تتزوج كريمة !

صوت خالد عزوز

— هو الوحيد فيما الذى سيعيش بعد الموت ..

وضاق أنيس بوحدة الصاخبة فنادى عم عبده ليغير ماء

الجوزة . وتمثل العملاق فى لحظات حضوره كالوجود الوحيد فى

خلاء صوتى . وصوت قال إن همه الأول هو التذكر . وآخر قال بل

إن همه هو النسيان . وسأل أنيس نفسه لماذا وقف التثار عند

الحدود ؟ !

وهتف صوت ليلى زيدان :

— لا هم لى !

صوت خالد عزوز :

— أو أننى همها الأول !

وصوت منية كامل قال :

— همى أن يطلقنى زوجى وأن يطلق على السيد زوجته ..

وحاول صوت سمارة أن يستدرج صوت سناء ولكنه لم

ينبس فقال صوت رجب :

— اعتبرينى همها الأول !

وقال صوت سناء :

— لا ..

ولكن صوت قبلة همس متهافتا مدغوما .. أما صوت خالد

عزوز فقال :

— همى الأول هو القوضوية !

وندت ضحكات . وساد صمت كفاصل راحة فسيطر الخلاء

كاملاً . وأقبل عم عبده وهو يقول :

— رمت امرأة بنفسها من الدور الثامن فى عمارة الصويا !

لحظه أنيس بوجوم وسأله :

— كيف عرفت ؟

— ذهبت أثر صراخ فرأيت منظراً فظيماً !

صوت على السيد :

— من حسن الحظ أننا بعيدون عن الخارج فلا نسمع شيئا .

— انتحرت المرأة أم قتلت ؟

فقال الرجل

— الله أعلم

ثم مضى متعجلا إلى الخارج . واقترح على السيد أن يذهب للاستطلاع ولكن اقتراحه رفض بالإجماع . وارجعت صدمة الخبر الذرات إلى تكويناتها الأصلية فعاد المجلس إلى هيئته . وسر أنيس لانفلاته من وحدته المرهقة . وقال إن معاشره الجانين خير على أى حال من الوحدة . وجاء دور مصطفى راشد ليتكلم ولكن على السيد أراد أن يثار لنفسه فقال :

— إنه محام قد خسر الدوائر التى صليت فهو يعيش اليوم على الخطة من أبناء الشعب ، وهم الأول بعد قبض مقدم الاتعاب هو المطلق ، وهو مطلب عسير بل أشد عسرا من مؤخر الاتعاب !

تساءلت سمارة

— إذن قانت من المتدينين ؟

— معاذ الله !

— فما هو المطلق ؟

أجاب على السيد

— أحيانا ينظر إلى السماء ، وأحيانا يركز فى ذاته ، وثالثة

بؤكد أنه قريب ولكن اللغة خرساء ، وقد نصحه خالد بأن يعرض نفسه على طبيب غدد !

— على أى حال فهو من حزب الجدية ؟

— كلا .. إن مطلقه عبثى !

— أيمكن أن نعهده فيلسوفا ؟

— بمعنى عصرى للفلسفة إن شئت ، الفلسفة التى تجمع بين

السرقه والسجن والشذوذ الجنسى على طريقة جينيه ..

وتذكر آخر لقاء مع نيرون ، كلا لم يكن وحشا كما قيل . قال

إنه لما وجد نفسه إمبراطورا قتل أمه . فلما صار إليها أحرق

روما . وقبل ذلك كان مجرد إنسان عادى فعمشق الفن . وقال إنه

لذلك كله ينعم فى جنة الخلد . وضحك عاليا فما بدرى إلا والانتظار

تتجه إليه وسمارة تسأل

— جاء دورك يا ولى الأمر فما همك الأول ؟

ودون تردد أجاب :

— أن أرافقك !

وضع المكان بالضحك وقال رجب باندفاع :

— ولكن ..

ثم استرد انتباهه بسرعة فسكت فعاد الضحك أشد من

الأول ورغم العرج ألحت سمارة على استجوابه فأجاب عنه أحمد

نصرا قائلا :

— أن يقتل المدير العام ..

فضحكت قائلة

— أخيرا وجدت شخصا جادا !

— ولكنه لا يفكر فى ذلك إلا فى لحظات الإفافة !

— ولو !

ورجع مع عبده فوقف عند البارقان وهو يقول :

— انتحرت المرأة لخلاف مع عشيقها !

وهل الصمت مليا حتى قال عزوز :

— خير ما فعلت ، غير الجوزة يا عم عبده ..

وتمتت سمارة

— لم يزل في الدنيا حب !

فعاد خالد يقول :

— انتحرت المرأة وهي على الأرجح جادة ، أما نحن فلا

سبح

وقال أحمد نصر إن كل حي هو جاد ويمارس حياته على أساس من الجدية ، وإن العبث يقتصر عادة على الأدمغة ، وقد تجد قاتلا بلا سبب في رواية مثل رواية الغريب أما في الحياة الحقيقية فإن بيكت نفسه أول من يسارع بإقامة الدعوى على ناشر إذا أخل بشروط من شروط العقد الخاص بأي كتاب من كتبه العبيثية . ولم تقبل سمارة الرأي على علته ، قالت إن ما يستقر في الرأس لا بد وأن يؤثر بطريقة أو بأخرى في السلوك أو على الأقل في المشاعر ، وضربت الأمثال بالسلبية واللا أخلاقية والانتحار المعنوي . ولكن يبقى الإنسان إنسانا فعليه أن يثور ولو كل سنة مرة ! .. ولكن رجب اقترح عليها أن تبقى حتى يشاهدوا مطلع الفجر من وراء أشجار الأكاسيا أندوزا فاعتذرت ثم صممت على الذهاب عند منتصف الليل ، وولخت شاكرة

فكرة أن يوصلها أحدهم بسيارته ، وفي ذهابها ساد الجو صمت كالراحة بعد التعب ، وأوشك أن يدركهم فتور مما ، وهم أنيس بأن يحدثهم عن تجربته الذرية ولكنه سرعان ما عدل عن فكرته كسلا ، وتساءل أحمد نصر :

— ما وراء المرأة الغريبة الفاتنة ؟

قال على السيد وقد احمرت عيناه الكبيرتان وبدا أنفه الكبير متهدلا لزجا :

— انها تحب أن تعرف كل شيء ، وأن تصادق كل جدير بالصدقة . فتساءل مصطفى راشد :

— وهل يمكن أن يدور بخلفها أن تدعونا يوما إلى الجدية . فقال خالد عزوز :

— في تلك الحال علينا أن ندعوها بدورنا إلى حجرة من الحجرات الثلاث ..

— هذه مهمة رجب القاضي !

امتقع وجه سناء ولكن السطل لم يجعل لملاحظة قيمة وقال خالد :

— علينا من الآن أن نتفق على وريث لسناء !

ورمقت سناء رجب بنظرة قاسية فقال ملاطفا :

— ليس على المسطول حرج ..

وعاد خالد يسأل :

— أمن السهل على هابت أن يمشق امرأة جادة ؟

ودارت الجوزة وامتلأت العين بالتماس . ونقلت الجمرة إلى

الشرفة فنفضت عنها الرماد وتوهجت ثم طقطقت مطلقه الشرر،
واقترب أنيس من الشرفة مستزيذا من نسيم الليل الرطيب .
ورنا إلى النار بإعجاب مستسلما لسحرها العجيب . وقال إن
أحدا لا يعرف سر القوة كالدلتا . الأبراص والفئران والهاموش
وماء النهر كل أولئك عشيرتى ولكن لا يعرف سر القوة إلا
الدلتا. الشمال كله دنيا سحرية مغطاة بالغابات لا تعرف النهار
إلا دفعات من الضوء المتسلل من شبك الأوراق والغصون . وذات
يوم تراكضت المسحبه هاربة وحل ضيف ثقيل مشقق الجلد كالح
الوجه اسمه الجفاف . ماذا نصنع وهاكم الموت يزحف علينا ؟ .
ذوت الخضرة وهاجرت الطيور وهلك الحيوان . قلت هاكم الموت
يزحف ويعد قبضته إلينا . أما أبناء عمى فقد مضوا إلى الجنوب
التعاسا للعيش اليسير والقطوف الدانية ولو فى أقصى الأرض .
وأما أسرتى فقد اتجهت نحو المستنقعات المختلفة من ميا النيل
ولا صلاح لها إلا عزيمتها ولا شاهد على مفامراتها الجنونية إلا
الدلتا . وفى انتظارها تكتل نبات الشوك والزواحف والوحوش
والذباب والبعوض . ثمة مادية وحشية للفناء ولا شاهد إلا الدلتا
قالوا ليس أمامنا إلا أن نقاتل شيئا فشيئا وأن نجالد بالعرق
والدم . السواعد الدامية والأعين المحملقة والأذان المرهلة ولا
شئ يسمع إلا دبيب الموت . وانتشرت الأشباح ودومت النصور
تنتظر الضحايا . لا وقت إلا للعمل . لا هدنة لدفن الموتى . ليس
ثمة من يمسأل أين يذهبون . وولدت أعاجيب وبذرت بذور
المعجزات ولا شاهد إلا الدلتا ..

— ٨ —

عندما تبدأ سهرة جديدة ، يتكاثف الإحساس بالحضور .
ويطمئن الوجود ، وتتوارى فكرة النهاية ، فتتهدأ فرصة نادرة
لممارسة الشعور بالخلود ، ولأن الليلة قمراء فقد أطفئ مصباح
النبيون اكتفاء بمصباح أزرق خافت الضوء مثبت فوق الباب
الخارجى . وبدا الصحاب شاحبى الوجوه ومن خارج الشرفة
أضفى القمر المرتفع عن مجال البصر على هلال المجلس بساطا
فضيا متوازى الأضلاع .

— قرأتم بلاشك مقال سمارة عن الفيلم الجديد ؟

— قل عن رجب القاضى فهو الأصح !

كلا . إنه لا يقرأ الجرائد والمجلات . ومثل لويس السادس عشر
لا يدري شيئا عما يدور فى الخارج :

وقالت ليلى زيدان مراعاة لشعور سناء :

— الجدية ! .. أجل ! .. ولكنى لم أكتوثر لذلك ، كنت أعلم من
أول الامر أنها جاءت لهدف محدد من نوع آخر ..

وقالت سناء لرجب :

To:

www.al-mostafa.com

— تم لترقم .

فاجابها بهدوء بفيض :

— لا توجد موسيقى .

— طالما رقصنا بغير موسيقى .

— صبرك يا عزيزتى والإ فلن تدور الجوزة ؟

يظن نفسه مركز الكون وأن الجوزة تدور من أجله . والحق أن الجوزة تدور لأن كل شيء يدور ، ولو كانت الأفلاك تسير فى خط مستقيم لتغير نظام الفرة . وليلة أمس اقتنعت تماما بالخلود ولكنى نسيت الأسباب وأنا ذاهب للأرشيف .

وقال خالد عوز ساخرا :

— والمقال يعتبر من الأدب الهادف فيما أعتقد ، وما رأيك يا

أجاب وجب وكان سناء غير موجودة :

— اعتبرته خطوة ونحية من جانبها !

ومما يؤكد ذلك أنها منقطعة عنا منذ أيام !

التربيع الأول المقتضى يضاف على الظلمة ضياء مسطولا كمين البنفسج الناعمة . أتذكر كيف كان البدر مرهقا فى ليالى الفارات ؟ . هاجر البارح يتوشب لفرة جديدة ، وكجميع الفرة يتحلى بقسوة حادة كالدرع .

وقال وجب مستريدا من النسيان القاسى لصاحبه :

— شكرت بالتليفون . قلت إننى أود أن أزورها لولا إشغالى

من إخراجها فقالت باستغراب أى إخراج هناك !

— دعوة صريحة !

— وفى دقائق معدودة أو معدودات كما يقول علماء النحو كنت أستاذنا لدخول حجرتها ولكنى وجدت فى الخرابة عقرىثا . وكان العقرىث هو صديقنا على السيد ..

وانهال السباب على الصديق على السيد .

— شكرت ، وشربت القهوة ، وقلت إن مقالها جدير بأن يخلقنى خلقا جديدا !

— منافق ابن منافق ومن سلالة أمة عريقة فى النفاق .

— وشغلت بطارية السكس أبيل نظراتى إليها فصدرت عن أوتارها الصوتية فى أثناء الحديث أنغام رقيقة من النوع الذى لا تسمح به الرقابة إلا فى أعقاب سمى طويل هادف . فقال على السيد :

— خيال مفرور ! . كان الحديث عاديا والصوت عاديا .

— بل كنت أنت منهمكا فى حديث هامس مع منتج سينمائى وفى غاية من المساومة ..

فضحك على السيد ضحكة عالية وقال :

— الحكاية صندوق ويسكى بلا زيادة وسيستهلك فى عوامتكم اللعينة ..

وسأله مصطفى راشد :

— وهل اقتصر الأمر على الأنغام الرقيقة ؟

— ماذا تتوقعون أكثر من ذلك فى مقابلة شبة رسمية ؟ . ومع ذلك فقد توارت الأستاذة الهادفة وراء غلالة أنثوية شفافة من النوع الذى تستعمله الفراشة وهى تنتقل بين الأزهار مؤدية

وظيفة عم عبده فى شارع النيل ..

فقال سناء بنبرة كرنين الوتر الرفيع من القانون إذا مسته
بد العازف خطأ

— يا لك من ساحر !

فابتسم إليها ابتسامة فاترة بدت فى الضوء الأزرق الشاحب
كامتعاضة وقال

— يا عزيزتى الصغيرة ..

ولكنها قاطعته بحدة !

— لست صغيرة من فضلك ..

— صغيرة السن ولكن كبيرة المقام !

— دعنا من الأكليشيات التى ماتت بموت العصر المملوكى !
فتأوه على السيد قائلا :

— أين منا عصر الممالك بشروط أن تكون من الممالك !

فقال سناء باستياء واضح :

— وما أسرع أن يتقلب أهل العوامة وحوشا بلا قلوب ،

الوحوش ذوات قلوب . وهى ليست وحوشا إلا حيال أعدائها ،

ولن أنسى الحوت الذى تراجع عن العوامة وهو يقول لى : (أنا
الحوت الذى نجى يونس) . وكم من ملايين ملايين الأعين قد رنت

إلى الليل المستكين فى ضوء القمر . وليس أدل على صدق مسارة
من هجرة الطيور الموسمية . أما سناء المسكينة فقد نسيت سكنى

الكهوف على عهد صباها الأول . وصاح :

— المحمل زفت ، كأنه ورق شاطئ !

وراح يصره فى منديل ليعصره ، وفى أثناء ذلك أشتبك فى
سباق الجرى ورفع الأثقال فى الدورة الأوليمبية باليابان فسجل
ارقاما قياسية . ودق جرس التليفون فنهض رجب إليه كأنما كان
ينتظره ، ولم يسمع من حديثه سوى كلمات مفردة مثل .. طبعاً ..
حالا . وأعاد السماع شم التفت إلى المجلس وهو يقول :

— عن إنكم ..

ونظر إلى سناء قائلا :

— ربما رجعت فى آخر المسهرة ..

ومضى إلى الخارج . اهتزت العوامة تحت أقدامه القوية ،
رندت عن سناء حركة عصبية فخيّل إليهم أنها موشكة على البكاء
ولم ينبس بكلمة أحد ، وارتسمت فى الأعين تساؤلات ولكن على
السيد هز رأسه مستنكرا ، وأخيرا خاطب مصطفى راشد سناء
برقة قائلا :

— لا .. لا .. لقد ولى العصر الرومانسى وحتى العصر
الواقعى يحتضر !

وقالت ليلى زيدان وهى تدارى ابتسامة شامتة :

— من المسلم به فى عوامتنا أنه لا شيء يستحق الأسف !

فنهلت سناء بحدة :

— لا رومانسية ولا أسف ..

فقال على السيد :

— أؤكد لك أنه ذاهب لمقابلة منتج ! .. ولكن لا تنسى عموما
أنك صادقت رجلا عرفته النساء !

وقام أحمد نصر وهو يقول بحذر :

— ماتييك بكاس ويسكى ولكن عودى إلى حالتك الطبيعية من

وقالت سنية كامل ببساطة مذهلة :

— وإذا وقع المحذور فعندك مصطفى وأحمد ..

فصاح أنيس بوحشية :

— لماذا تغفلنى إحصاءات الأوغاد ؟

ثم بغلظة وهو يضبط على مخارج الكلمات :

— أوغاد منحلون مدمنون !

أغرقوا فى الضحك . وتساءل مصطفى راشد :

— ترى أذهب حقا إلى سمارة ؟

فقال على السيد :

— ليس بالغريب أن يوقع بامرأة !

وقالت ليلي زيدان

— بالله خبرنى لماذا جاءت إلى هنا إن لم يكن من أجله ؟

فقال على السيد :

— لا شيء محال . ولكنها ليست بالفرة ، ولا أظنها ترضى

بأن تكون معجبة عابرة !

فتساءل مصطفى راشد :

— ما الذى يجعل لبعض الرجال مثل تلك السطورة ؟

فقال على السيد :

— أى نجم فى مركزه فلا بد أن يكون له شأن .

— لى الامر بمجرد لمعان نجم ، ولا حتى الرشاقة والجمال .

ولكنه سر أسرار الجنس !

فقال أحمد نمر :

— فليحدثنا النساء عن ذلك ..

فقال على السيد :

— النساء يحبين ولكنهن لا يقرن لماذا ..

فقال خالد عزوز :

— لتسأل عن ذلك الغدة النخامية ..

ومضت سناء بشلطة إلى الشرفة وجلست وحيدة . وصال

على السيد مصطفى راشد وهو يومئ خفية إلى سناء :

— أهى تمثل الأنموذج الإنسانى الذى تبحث عنه ؟

فأجاب باقتضاب أن لا . وقال خالد عزوز :

— الإباحية .. الإباحية . هى العلاج لذلك كله ..

وإذا بأنيس يقول :

— يا أوغاد .. أنتم المسئولون عن تدهور الحضارة الرومانية !

وضحكوا فى صخب ، وقال له أحمد :

— أنت الليلة عصبي على غير عادتك ..

— المعسل زقت !

— لكنه كثيرا ما يكون كذلك .

— والقمر ! تذكرنى دورته بالمهزلة ..

— المهزلة ؟

— مهزلة المهازل !

ودارت الجوزة بلا توقف . ولزموا الصمت ليستحضروا

الأرواح الشاردة ، ووشى المجلس بعدم المتهم .. التاريخ والمستقبل.
وقال لنفسه إنه الصفر . لا ناقص ولا زائد ولكنه الصفر . معجزة
المعجزات . وانكشف الجهول تحت ضوء القمر . وترامى صوت
عم عبده من الخارج وهو يوطن بكلام لم يميزه أحد . وضحك
البعض وقال آخر إن الوقت ينقضى بسرعة مذهلة . وتجلت
وشوشة الموج وهو يرتطم أسفل العوامة . أجل دورة القمر.
والثورالمفسى . ويوما قال لى شيخ (إنك تحب الاعتداء والله لا
يحب المعتدين) وكان الدم يسيل من أنفى . ولعل الشيخ قال ذلك
للاخر . ولعل الدم سال من الآخر . كيف يمكن الثقة بشيء بعد
ذلك ؟ . وعاد الصوت يقول : (انقضى الوقت بسرعة مذهلة)
وتنهى أحمد نصر قائلا (أن الأوان) هكذا نعى إلينا الجلسة .
وتطعت حركة متكاملة ثم ذهب أحمد ومصطفى معا . وتبعهما
خالد وليلى . أما على وسنية فتسللا إلى الحجرة المطلة على
لحديقة . وجاء عم عبده ليعيد المكان إلى أصله . شكا إليه رداءة
المعسل فقال الرجل إن كل ما فى السوق ردىء . وجاءت من
الشرفة عطسة فذكر من توه سناء . زحف على أربع نحو الشرفة
ثم أمسد ظهره إلى ضلفتها ومد ساقيه إلى الداخل وهو يتمتم
(مساء الجمال) . انحسر عنها ضوء القمر الذى أوغل فيما وراء
العوامة ناحية الطريق ساحبا وراءه فوق سطح الماء لآله .

— أنتظن أنه يعود ؟

— من ؟

— رجب !

— ما أتعس المستول إذا عجز عن الجواب .
— قال إنه ربما جاء آخر المسهرة ..
— ربما ..
— هل أضايك ؟
— معاذ الله .
— أتري أنه يجب أن أنتظر ؟
فضحك ضحكة خفيفة وقال :
— ينتظر قوم إمامهم منذ ألف سنة !
— أتسخر منى مثلهم ؟
— لم يسخر منك أحد ولكن تلك طريقتهم فى الكلام .
— على أى حل فانت الطفهم جميعا .
— أنا !
— لا يخرج من فمك سوء .
— ذلك أننى أخرس .
— ويجمع بيننا شيء واحد .
— ما هو ؟
— الوحدة .
— المسطول لا يعرف الوحدة .
— لماذا لا تفازلنى ؟
— المسطول الحق يتمتع باكتفاء ذاتى !
— ما رأيك فى نزهة فى قارب شراعى ؟
— قدماى لا تكادان تحملاننى ..

وهي تتنهد

— لم يبق إلا أن أذهب ، ولا يوجد أحد ليوصلنى إلى الميدان !
— عم عبده يوصل من لا يجد أحدا ليوصله .

تردد فى تيار النسيم بعض من أنفاس الليل الرطبية ، ومن وراء باب الحجرة المفلقة همهمت ضحكة ، والسماء صافية تماما تزدهر بالآف النجوم ، ومن مكان يتوسطها تراهى وجه مطموس لعالم وهو يبتسم ، وداخله شعور لم يجد مثله إلا وهو يسجل رقما قياسيا فى الدورة الأولمبية . ولما كان الوقت ينقضى بسرعة مذهلة فقد تجلت لعينيه الماساة على حقيقتها فى ميدان معركة . إذ يجلس قمبيز على المنصة ومن خلفه جيشه المنتصر . لى يمينه قواده المظفرون وإلى يماره فرعون يجلس جلسة منكسر . والأسرى من جنود مصر يمشون أمام الغازى . وإذا بفرعون يجهش فى البكاء فيلتفت قمبيز نحوه سائلا عما يبكيه فيشير إلى رجل يسير برأس منكس بين الأسرى ويقول :
— هذا الرجل !.. طالما شهدته وهو فى أوج أبهته فعز على أن
هو يرصف فى الأغلال !



ويجمع بيننا شيء واحد .. الوحدة !

قد أعدت الجلسة بكل ما يلزمها وما هو عم عبده يؤذن لصلاة المغرب ولكن ثمة محنة حقيقية فى الانتظار .انتظار سحر الفئجان المسحور . والانتظار شعور مؤرق ولا شفاء منه إلا ببلمس الخلود . وقبل ذلك فلا النيل يؤنسك ولا أسراب الحمام الأبيض . وترى بعين قلقة تقوض المجلس كما ترى جميع النهايات . والقمر بازغ فوق أغصان الأكاسيا يؤكد هذه الوسواس ولا يطفئها . وما دام ذلك كذلك فحتى فعل الخير يعقبه الندم . ويضيق الصدر بأى حكمة إلا حكمة تنمى جميع الحكم . فليذهب العذاب المتراجع أمام المسحر إلى غير رجعة . وعندما نهاجر إلى القمر فسنكون أول مهاجرين يهاجرون هرباً من لا شيء إلى لا شيء . فواحمراً على نسج العنكبوت الذى غنى ذات مساء فى تربتنا مع نقيق الضفادع . وقبيل القيلولة سمعت إلى نابليون وهو يتهم الإنجليز بقتله بالسّم البطيء . ولكن ليس الإنجليز وحدهم الذين يقتلون بالسّم البطيء . وراح يتمشى ما بين الشرفة والبارقان . وأضاء المصباح الأزرق . وفى أثناء ذلك شعر بأنامل الرحمة وهى تلاطف باطنه .

واهتزت العوامة وارتفعت الأصوات مؤذنة بالعمران . اكتمل المجلس ودارت الجوزة على مرأى من القمر الماضى فى العلو . وتخلفت سناء لأول مرة منذ مجيئها فلاحظ ذلك أحمد نصر وتضاربت التعليقات . وقالت سنية كامل

— المسألة أنكم زجال فى حال انعدام من الوزن !

وبدا رجب لا مباليا وهو يثنى على (الصنف) فقال له أحمد نصر :

— كنت قاسيا معها أكثر مما يجوز ولم تراع حداثة سنّها

— لا يمكن أن أكون عاشقا ومربيا فى وقت واحد ..

— ولكنها صغيرة !

— لست أول فنان فى حياتها !

ورجح أحمد نصر أنها أحبته بصدق فقال :

— إذا عاش حب شهرا كاملا فى زماننا الصاروخى فهو حب معمر !

وتذكر كيف أغرتة بمغازلتها ، وكيف أبى كيوسف ! . وكيف يصنع الحب الحكايات من قديم الزمان . وضوء القمر يصطبغ على وجوههم وعمّا قليل سيختفى عن الأنظار . وعندما يدقق النظر فى وجوههم تتكشف له عن ملامح جديدة كأنها وجوه غريبة ، إنه يراهم عادة بآتة ومن وراء سحببات الدخان ومن خلال دُمار والمعاملات ولكنه إذا ركز عليهم تركيزا شديدا وجد نفسه غريبا وسط غرباء ، ورأى الغراب فى التجميد الثقيلة حول عينى ليلى زيدان . ولمح قصوة ثلجية فى ابتسامة رجب

التكتمية . وتلوح الدنيا غريبة أيضا لا يدري موقعها من الزمان ولعلها لا توجد أصلا . وانتبه على اسم سمارة وهو يتردد بينهم وسرعان ما سمع صوتها وهي تضاحك عم عبده في الخارج . وصرى من هزة العوامة إلى جسده ما يشبه القشعريرة ، وهلت سمارة في تايير أبيض . حيثهم بيديها واتجهت إلى الشلثة الخالية شلثة سناء وأشعلت سيجارة في ارتياح ولكن لم يلاحظ أحد عليها تغيرا يمكن أن يفسر به سلوك رجب الغامض أمس . ونساءلت الفتاة ببراعة :

— ابن سناء ؟

فأجاب مصطفى راشد :

— في كوخ عم عبده !

احتفظت ببراءتها فقال إنها تبحث هناك عن المطلق فقالت إنها كان يجب أن تبحث عنه عنده هو لا في كوخ عم عبده . فقال مواصلا نهكما

— الحق أنها وجدت حب رجب عرضا زائلا فمضت وراء شيء

فقالت أسفة

— في كوخ عم عبده شيء لا يتغير حقا هو الخلاه !

أجل لا يملك الرجل سوى جلبابه وبنام على أريكة قديمة يلا غطاء . هكذا وجده عند انتقاله إلى العوامة ولكن لا بد أن يزوده بغطاء عند مقدم الشتاء . والح مصطفى على سمارة في أن تجوب الجوزة وانضم إليه رجب :

— لماذا تصرين على رفضها ؟

فضحكت متسائلة :

— لماذا تحبونها ؟ ... هذا هو السؤال المهم !

— الامتناع عنها هو ما يحتاج إلى تفسير .

ووضع للجميع شفتها للوقوف على سرها الأسر . أجل . لماذا يعشق أناس غيبوبتها ؟ . لماذا يهيمون بالنعاس الذاهل ؟ .. وقال لها خالد عزوز :

— أرجعى إلى كلمة إدمان في دائرة المعارف البريطانية ؟

ولكن مصطفى راشد سارع يقول :

— حذار من الإكلسييات يا استاذة .

وجعلت تبتمسم متريدة فعاد يقول :

— حذار من ترويد ألفاظ مخيفة مثل الهروب الخ ..

فقالت ببساطة :

— أريد أن أعرف ؟

فتساءل رجب :

— تحقيق جديد ؟

— لا أقبل أن أكون موضع اتهام .

فقال مصطفى راشد متحديا :

— لا قيمة للاكلسييات ، جميعنا أناس عاملون ، مدبر حسابات ، ناقد فنى ، ممثل ، أديب ، محام ، موظف ، كلنا نعطي المجتمع ما يطلبه منا وأكثر ، من أى شيء نهرب ؟ قالت بصدى :

— إنك تفترض آراء معارضة ثم تناقشها . إننى أسأل فقط عما
تصنعه لكم الجوزة ؟

فقال على السيد :

— إنها تقول شيئاً قديماً من قول الشاعر :

سهرت أعين ونامت عيون

لأمر تكون أو لا تكون

فاطرح الهم عن النفس ما استطعت

فحملانك الهموم جنون

فقلت فيما يشبه الظفر :

— إذن هى الهموم .

قال مصطفى راشد بإصرار :

— إننا نواجه هموم حياتنا اليومية بكل همة . لسنا متغابلة .

نحن أرباب أسر ورجال أعمال ..

تلوح الدنيا غريبة وتزداد غرابة عند تناول الأفكار : الهموم
والتغابلة والإكلسيهايات . والمساطيل يتناقشون بأعين محمرة .
واختفى القمر تماماً ولكن سطح الماء يخسره بلالائه كأنه بشاشة
سماعة مبهولة . ماذا تريد المرأة وماذا يريد المساطيل ؟ . يقولون
وقت فراغ وتقول إدمان . وعجيب ألا تهتز العوامة بهذا النقاش
وهى تميد تحت وقع قدم فوق الصقالة .

وجاء عم عبده فأخذ الجوزة ليغير ماءها ثم أعادها وذهب .
ونظر أنيس إلى لالىء الماء وابتنسم . وانتبه إلى صوت سماعة
وهى تناديه فنظر إليها ويداه لا تكلان عن العمل . قالت :

— أود أن أسمع رأيك أنت ؟

فقال ببساطة :

— تزوجى يا أنسة !

فضحكوا . إنها تفضل دور الراقصة : قال وجب .

ولكنها أصرت على ألا ترتبك . وجعلت تستحث أنيس على
الإجابة بعينيها . وانصرف عنها إلى ما بين يديه . لماذا واحد وواحد
يساويان اثنين ؟ .

امرأة مزعجة تقتحم علينا بديهيات الحياة . ماذا تريد ؟
ركيف يمكن أن ننسطل فى مطاردة مستمرة حامية ؟ . ولما ينست
منه تحولت إلى مصطفى قائلة

— حق إنكم تواجهون هموم حياتكم اليومية بكل همة ولكن
ماذا عن الحياة العامة ؟

— تعنين السياسة الداخلية ؟

— والخارجية !

فقال خالد عزوز متهمكماً :

— وسياسة العالم . لم لا ؟

فقالت باسمه

— وتلك أيضاً ..

فتساءل مصطفى راشد :

— والسياسة الكويتية لا يجوز أن تهمل أيضاً .

فتساءلت ضاحكة :

— أرايت أن الهموم أكثر مما نتصور !

— الآن تفاهمنا . إنك تأسفين على وقتنا الضائع في
السهرات ، وتعتقدين أنه هروب من أعبائنا الحقيقية ، وإنه لولا
ذلك لقدمنا الحلول الناجحة لمشاكل الوطن العربي والعالم
والكون

وصحكوا مرة أخرى . وقالوا لأنيس إنه السبب الحقيقي وراء
ما يعانيه العالم من آلام والكون من غموض . واقترح مصطفى
أن يرموا بالجوزة إلى النيل ثم يقسموا العمل فيما بينهم ،
مختص خالد عزوز بالسياسة الداخلية ، وعلى السيد بالسياسة
العالمية . ومصطفى بحل رموز الكون . وراحوا يتساءلون عن
كيف يبدؤون ، وكيف ينظمون أنفسهم وكيف يحققون
لاشراكة على أسس شعبية ديموقراطية لا زيف فيها ولا قهر ،
وكيف بعد ذلك يعالجون مشكلات العالم كالحرب والتفرقة
للعنصرية . وهل يبدأ مصطفى من الآن في حل معميات الكون ،
هل يدرس العلم والفلسفة أو يقتنع بالتركيز الذاتي في انتظار

وتدارسوا المراقيل المتعدية . والأخطار التي قد تحيق بهم
خسارة الأرواق والاعتقال والقتل ، وثمة صوت تشكى من
السرعة المذهلة التي ينقضى بها الوقت . والقمر اختفى تماما
ولم يبق من بساط اللاكز إلا ذيل قصير . ولم تتوقف الجوزة عن
الدوران ولا سمارة عن الضحك .

وتلاطمت في رأسه خواطر عن الغزوات الإسلامية والحروب
التي كانت تدمر ممالك العشق والفلسفة والصراع

الدامى بين الكاثوليكية والبروتستانتية وعصر الشهداء والهجرة
إلى أمريكا وموت عديلة وهنية ومساوماته مع بنات شارع النيل
وسوت الذي نجى بونس وعمل عم عبده الموزع بين الإمامة
والقوادة وصمت الهزيع الأخير من الليل الذي يعجز عن وصفه
والإنكار الفسورية الخاطفة التي تتوهج لحظة ثم تختفى إلى
الأبد .

وصحا على صوت سمارة وهي تسال الجماعة :

— كيف كنتم في مطلع الحياة ؟

وضحكوا . لماذا يضحكون ؟ . كأننا لم يكن لحياتهم مطلع .
الذكريات البعيدة التي لحقت بالعصر الحجري . القرية ثم الغربة
الوحيدة . والإصرار . الإصرار في القرية والحجرة الوحيدة .
والقمر كان يبرز ويغرب ولا يوحى بنهاية شيء . قال خالد :
— في صباى لم يكن ثمة سؤال بلا جواب . والأرض لم تكن
تدور . والأمل يمتد في المستقبل بسرعة مائة مليون سنة
ضوئية .

وقال على السيد

— وتصاءلت ذات يوم لماذا يعرفل الخوف من الموت سماعتنا
الأبدية ؟

وقال مصطفى راشد :

— ويوما كدت أهلك أنا وأنيس في مظاهرة ثورية !

ولم تدهش الفتاة لشيء من ذلك . وراحت تتحدث عن إمكان
استعادة حماس في أزياء جديدة . ولكنهم تكلموا عن خيانة المرأة

التي تنزع الثقة من النساء جميعا ، وقالت لمصطفى وهو أشدهم جدلا

— إنك تهرب بالمطلق من المسئولية .

فأجابها بسخرية :

— المسئولية سبيل الكثيرين للهروب من المطلق ..

البيضة والدجاجة . أما أنا فأكرس وأرعى وأشعل النار وأدير الجوزة ثم أنصب من نفسي مستودعا لخردة المهاترات ، والنساء تضحك وتحلم بالحب . والوقت ينقضى بسرعة مذهلة . وكلما أرادت الأستاذة الذهاب استبقاها الساحر بأصوار . وعما قليل سيحل الخراب بالمجلس . والقيام الذي كان مدرسة أمس فندقا لسمندرات . وقد قال لى فى آخر لقاء إنه لو كان امتد به العمر إلى أيامنا لاشترك فى أحد النوادى الرياضية .

— أن الأوان !

ودهب الرجال والنساء إلا رجب وسمارة !

من المحقق أنهما لا يعرفان أن النيل هو الذى قضى علينا بما نحن فيه . وأنه لم يبق من عبادتنا القديمة إلا عبادة أبيس . وأن الداء الحقيقى هو الخوف من الحياة لا الموت . والآن فلنسمع الحوار المعاد كما هى العادة

— أليس الأفضل يا عزيزتى أن نستمتع بالحب ؟

— فكرة طيبة !

— قلت لك يا عزيزى إنى جادة ..

— أخلاق برجوازية ؟

— جادة .. جيم ألف دال تاء مربوطة ..

— بالله كيف تسلمين نفسك ؟

ولما لم تجب استطراد :

— بالزواج مثلا ؟

— قل بالحب باعتباره الأصل ..

— إذن تعالى ..

— أنت جاد ؟

— أنا لا أهزل أبدا ..

— وسناء ؟

— أنت لا تدريين شيئا عن سيكولوجية المراهقات الجشونات !

— عندى بعض معلومات لا بأس بها .

— أتسلمين لى نفسك إذا عاهدتك على الإيمان بالجدية ؟

— أنت ظريف حقا !

وها هو يقرب وجهه من وجهها ، سيتكرر المنظر القديم .

وها هو يطبق بشفتيه على شففتيها . وهى لم تقاوم ولكن لم

تستجب . وتحديه بنظرة ساخرة باردة . باخ الفارس وتراجع .

هكذا دالت دولة الفرس . وقال وهو يبتسم :

— إذن فلنتمش فى الحديقة الصغيرة ..

— لكن الليل متأخر ..

— ليس فى العروامة زمن .

وخلت الصالة . كلا لم تخل الصالة فما يزال بها أنقاض



— يسأل كثيرون عن سر خمولاك في ظلها !
— إنها الملكة

— لم أخض حربا ولم أمارس الحكم بعد ..
— إنى أحدثك عما ستمير إليه ، ألا تفهم ؟
— وكيف عرفت ذلك ؟
— من التاريخ ، كل الناس يعرفونه ..
وضع وهو ينظر إلى كمن ينظر إلى معنوه ، قلت بإصرار :
— إنه التاريخ ، صدقنى ..
— يكسب تتكلم عن مستقبل مجهول .
فقلت كمن يتكلم فى كابوس من شدة الحيرة :
— إنه التاريخ ، صدقنى

مشروع مسرحية

فكرتها تدور عن الجدية فى مواجهة العبث . والعبث هو فقدان المعنى . معنى أى شىء . انهيار الإيمان . الإيمان بآى شىء . والمسير فى الحياة بدافع الضرورة وحدها ودون اقتناع وبلا أمل حقيقى . وينعكس ذلك على الشخصية فى صورة انحلال . معادلة . نفس المشغولة خرافة وسخرية ويستوى الخير والشر ويقدم أحدهما - إذا قدم - بدافع من الانانية أو الجبن أو الانتهازية . وتموت القيم جميعا وتنتهى الحضارة . وما يجب إصلاحه فى هذه المرحلة مشككة المتدينين العابثين . فإنهم لا يكتفون . بل يفسرون ذلك ؟ . أهو سوء فهم للدين ؟ أم أنه إيمان غير حقيقى . ووثيقى . بلا جذور . تمارس تحت ستاره أخس أنواع الانتفاع بها فى مسرحية أو تزجل لموضوع مستقل .

أما الجدية فتعنى الإيمان . ولكن الإيمان بماذا ؟ . ولا يكفى أن نعرف ما نؤمن به ولكن من الضرورى أن يكون

إيماننا صدق الإيمان الدينى الحق وقدرته المذهلة على خلق البطولات وإلا كان نوعا جادا من العبث . وحتم أن يعبر عن ذلك كله من خلال الموقف والحدث . سواء أكان الإيمان بالإنسان أم بالعلم أم بالاثنين معا . ولكى أبسط المسألة أقول إن الإنسان واجه قديما العبث وخرج منه بالدين . وهو يواجه اليوم فكيف يخرج منه ؟ . ولا فائدة ترجى من مخالطة إنسان بغير اللغة التى يتعامل بها . وقد اكتسبنا لغة جديدة هى العلم ولا سبيل إلى توكيد الحقائق الصغرى والكبرى معا إلا بها . وهى حقائق بلورها الدين بلغة الإنسان الجديدة .

وليكن لنا فى العلماء أسوة ومنهج . يبدو أنهم لا يقعون فى العبث أبدا . لماذا ؟ . ربما لأنه لا وقت لديهم لذلك . وربما لأنهم على صلة دائمة بالحقيقة معتمدين على منهج موفق قد أثبت جدارته . فلا يتأتى لهم الشك فيها أو اليأس منها . وقد ينفق أحدهم عشرين عاما لحل معادلة . ومتجدد المعادلة عناية متجددة وتلتهم أعمارا جديدة ثم تفرض على خطوات راسخة فى سبيل الحقيقة . فهم يعيشون فى مناخ معيق بالتقدم والنصر . ولا يمن لهم مثل هذا السؤال : (من أين وإلى أين وما معنى حياتنا) أى مفزى . ولا يوحى بآى عبث . والعلم الحقيقى يفرض أخلاقيات فى عصر تدهور الأخلاق . فهو مثال فى حب الحقيقة والنزاهة فى الحكم والرهبانبة فى العمل والتعاون فى البحث والاستعداد للتلقى للخطرة الإنسانية الشاملة وعلى المستوى المعلى هل يمكن أن يحل التفوق العلمى محل الانتهازية فى قلوب

وعلى أى حال يستعصم ألا أشغل رأسى بفكرة المسرحية أكثر من ذلك الآن وسأعود إلى ذلك بعد جمع مزيد من العناصر الضرورية للعمل

ويخيل إلى أن الحركة ستجرى على الوجه الآتى :

فئاة تغزو مجموعة من الرجال لتغييرهم . يجب أن تنجح فى ذلك بطريقة فنية وإلا ما كان للمسرحية معنى . امرأة جادة ورجال عابثون . وتلزمنى قصة حب . ومن المتع حقا أن يقع لجميع فى حبها ، وعليها هى أن تختار واحدا . أو أنها ستقع وهى لا تدري فى حب أحدهم . بل يجب أن يتأزم الموقف بين لعب والجدية كيلا تفتقر المسرحية . ولكن هل تفضى كقصة غرامية فى إطار من صراع فكرى ؟ . هل تقتصر على المناقشات الفكرية والمناجاة الغرامية ؟ . وكيف ومتى يتم التطور فى الحدث بإقناع فنى ؟ . هل يتم بناء على مناقشات ؟ . هل يتم بناء على العاطفة ؟ . ينفصنى شيء هام جوهرى فما هو ؟ . كيف يمكن تحويل أناس عابثين إلى عقيدة ؟ . وما مدى اتساع هذه العقيدة ؟ . هل تقوى أن تعمس الموقف الاجتماعى ؟ . أعنى هل يكفى ذلك لبعث البطولات ؟ .

والآن بعد أن عسى بيمة الآن من الأفكار التى على أن نسورها ، لننصب لها من مدور المسرحية . ويحسن بى أن أقول لكم أن هذه هى الأساسيات عن شخصيات الرواية - شخصياتهم الحقيقية منقطة - لكن فى ذلك خلاصا من حيرتى إذ

أنه من المحتمل أن تتدفق الحركة فى مجرى تلقائى إذا وضحت الشخصيات واستقرت معالمها الأساسية .

اشخاص المسرحية

١ - أحمد نصر

موظف كفء فيما يقال ، ذو خبرة مذهلة بالحياة اليومية والعملية . موفق فى حياته الزوجية وله ابنة فى سن المراهقة . متدين ووثيق فيما اعتقد . وهو فى الجملة شخص عادى ولا أدرى كيف يخدم أغراض المسرحية . وثمة سؤال هام : لماذا يدمن الجوزة ؟ ولندع جانبا ما يقال عن البواعث الجنسية فهل عنده ما يهرب منه ؟ . على أى حال يجب خلقه من جديد باعتباره غير قانع فى أعماقه باستفراق الوظيفة والأسرة لحيويته . إنه يشعر فى زاوية من نفسه بأنه مسئول . أو يجب أن يكون مسئولا . مما يجرى حوله ، ولأنه مؤمن فهو أعظمهم توازنا ولكنه رغم ذلك وربما بسبب ذلك أيضا يحزنه أنه شيء لا يقدم ولا يؤخر فى الحياة . على ذلك يمكن أن نعب اهتمامه المشهور بالمشكلات الصغيرة - كإيمانه - نوعا من الهروب من إحساس التفاهة الذى يطارد . وسيمارس تعاسته الخفية دون وعى ، وسيظل فى الظاهر الرجل المتوازن المؤمن المطمئن المتيقن حتى تكشف البطلة أمام نفسه وربما فى سياق غرامه بها .

٢ - مصطفى راشد

معام . لا بأس أن أبقى له على مهنته تبريرا لقوته في
الجدل . ساخر جدا وخفيف الروح . متزوج من امرأة لا يحبها
ولعله تزوج منها طمعا في مرتبتها قبل كل شيء . وبرغم أنه
يبحث عن أنموذج الأنثى الذي لم يصادفه بعد . والحق أن الذي
لا يمارس العشق في هذه العوامة فهو رجل غريب ينطوى ولا شك
على سر دفين . ولعله الإدمان . وهو يعنى خواء النفس تماما .
ويجد ملاذه في الجوزة والطلق . ولكنه لا يعنى - فيما يبدو -
الخدعة التي يخدع بها نفسه . وهو يتطلع إلى المستحيل بلا منهج
ولا جهد حقيقى . معتمدا على التأمل المسطول . كأن المطلق ما
هو إلا مبور للإدمان ولكنه يهبه إحساسا بالعلو فوق ثقافته
لحقيقية : وهو - ككثيرين ممن أتابلهم في الحفلات العامة - ذو
مظهر يراق بالثقافة وباطن أجوف متداع تفوح منه التعاسة
والفتنة

٢ - على السيد

أزهري النشأة . أتم دراسته بعد ذلك في كلية الآداب . وأتقن
الخطبة في مناسبات كثيرة . وهو مباحل وعلى مية من هدفه
الخطبة . وله روحان . القديمة من القرية والحديثة من
المدن . وله روحان . المرأة التقليدية لمرضى نوازعه المحافظة
والرجل . وهو يهوى الخطبة التي ألقى على الزوجة الأولى
التي هي حبيبته . شهد بذلك ملائكة العربية مصمية كامل

وكنافد فنى فهو وغد كبير . يقيم أسسه الجمالية على المنفعة
المادية فلا يضطر إلى قول الحق إلا إذا خافه العظ وعند ذلك ينقلب
هباء ساخرا بلا رحمة . ويطارده الإحساس بالثقافة والخيانة
والعبث فيمضى في سبيل الجوزة والأحلام الغريبة عن إنسانية
جديدة تتخيل أمام عينيه الذاهلتين من خلال الضباب المهلك .
وهو مثال لطائفة من المعاصرين الذين يهيمنون على وجوههم
بلا عقيد ولا خلق . ولا يتورع عن ارتكاب جريمة إذا أمن من العقاب

٤ - خالد عزوز

ورث عمارة فضمنت له حياة رغدة رغم عجزه الواضح . وجد
مهربه في الجوزة والجنس واللح الهامى الذى يفضح ما تنطوى
عليه جوانحه من انحلال وإباحية . من الصعب الفصل فيما إذا
كان فقده للعقيدة - أى عقيدة - هو الذى تآدى به إلى الانحلال أم
أن انحلاله هو الذى ساقه إلى رفض العقائد . لذلك لا أستبعد
أن يرجع يوما إلى الإيمان التقليدى إذا نصب معبته . وهو
دون أصحابه عاطل . يأخذ من المجتمع دون أن يعطيه شيئا . إلا
نصحا مثل قصة الزمار الذى انقلب مزماره حبة تسمى ! ولا
أستبعد كذلك أن يطل علينا ذات مساء من شرفة اللامعقول .

٥ - رجب القاضى

هو أمل المسرحية . إذا لم يذعن للتطور فقل عليها السلام .
أبوه حلاق كما أخبرنى على السيد . وما زال يمارس مهنته في

كوم حمادة رغم لعان ابنه ، من كبرياء من ناحيته أو نذالة من ناحية ابنه . وجب رجل كجنس . إله من الآلهة التي تموت في الحلقة السادسة ، وكأله العشق لا يخلو من قسوة لن يطلها إلا لعب . وهو كالأخرين بلا عقيدة ولا مبادئ ولكنه دونهم عصبية وتازما ، جميل جذاب ، مشهور بمسمرته الغامقة ، وسيطرته غير المحدودة ، ومهربه الحقيقي في الجنس أما الجوزة فيبدو أنها لا تؤثر فيه إلا قليلا . وإمكانات للمسرحية غنية من التنويه .

٦ - أنيس زكى

موصف خائب ، زوج سابق . أب سابق ، صامت ذاهل ليلا ونهاراً . مثقف يقال ولا يملك من الدنيا إلا مكتبة دسمة ، يخيل إلى أحيانا أنه نصف مجنون . أو نصف ميت ، نجح في أن ينسى تماما ما يهرب منه . نسي نفسه . توحي ضخامة هيكله بقوة كان يمكن أن توجد . يمكن أن تصله بأى شيء أو ألا تجد له صه على الإطلاق . سره في رأسه . يمكن أن تطمئن إليه كما تطمئن إلى مقعد خال . قابل للاستغلال الكوميدي ولكنه لن يكون له دور إيجابى في المسرحية .

...

يستحسن أن اختزل الشخصيات النسائية إلى اثنين :
- حنة القميص دسها . أسماء لتضيق من وحدة العاطفة في
نهر من فضلة من أن شخصية مرافقة مصرية خليفة مان تضفى



.. وفرو الصفحات الباقية حتى
الغلاف فلم يعثر على كلمة واحدة !

على المسرحية روحا جذابا لا يخلو من قائمة دراسية . ثم إن انتصار البطلة عليها في المعركة الفرامية يعد رمزا لانتصار الجدية على العبث في النطاق النسائي إذ لا جدوى من الجدية إذا لم تتغلغل جذورها في المرأة التي هي أم المستقبل .

ولا ضرورة بعد ذلك لسنية كامل التي تمارس تعدد الأزواج على طريقتهما الخاصة ولا إلى المترجمة الشقراء العانس التي تنوهم أنها رائدة شهيدة على حين أنها رائدة متهافئة مدمنة

انتهت الكتابة في المذكرة . وثمة عنوان هو (ملاحظات هامة) ولكنه يقوم وحيدا في وسط السطر ، ويليه بياض ، وفر لصفحات الباقية حتى الغلاف فلم يعثر على كلمة واحدة . دس لمذكرة في جيبه وهو يتمتم (يا بنت الذين) واستخرج المذكرة ثم أعاد قراءة ما كتب عنه ثم أعادها إلى جيبه ، وضحك . ونظر إلى الفئجال الفارغ وهو يقول (لا فائدة) سيطول انتظاره . وربما صاحبت الإفاقة حتى يتعقد المجلس . وترامى من المصلى صوت عم عبده وهو يزلن لصلاة المغرب فعاد يتمتم (يا بنت الذين)

... ..

يتصالح عن يكون القادم المبكر ؟

ومن وراء البارقان ظهرت سمارة بهجت !

— ١١ —

أقتربت وهي تحييه بابتسامة متكلفة ، وضع له أنشفالها

فقال

— لست كمادتك ؟

راحت تدور في المكان وهي تتفحصه :

— مالك ؟

— فقدت أشياء مهمة .

— هنا ؟

— كانت معي في جلسة أمس ..

— وما هي ؟

— مذكرة خاصة بعملى ومبلغ تافه من النقود .

— إأنت متأكدة من أنك فقدتها هنا ؟

— لست متأكدة من شيء .

— عم عبده يكنس المكان والزبال يأخذ الزبال في الصباح .

جلست على فوتيل وهي تقول :

— لو أنها سرقت فلماذا لم يأخذ السارق الحقيبة كلها ، لماذا

يأخذ المذكرة ويترك كيس النقود ؟

— لعلها سقطت منك ؟

— كل شيء ممكن ..

— أهى خسارة لا تعوض ؟

وقبل أن تجيبه اهتزت العوامة وارتفعت الأصوات . رجت بسرعة أن ينسى الموضوع وألا يعيد ذكره . قالت ذلك وهى تنتقل إلى الشلثة . وتتابع دخول الصحاب حتى تم للمجلس تمامه . وتفرغ للجوزة بهمة ونهم وكان على درجة من الإفاقة غير مألوفة فنشطت فى أعماقه شياطين متحفزة للعبث . واسترق إلى سمارة نظرة مأكرة . وقال مصطفى راشد مخاطبا سمارة :

— تببت الآن أنك تجيئين مبكرة لتتفردى بأنيس !

فقالت بتسليم

— ألا ترى أنه فارس أحلامى ؟

فقال أحمد نصر

— نحن متيان ولكنه فى الأربعين .

وبدون دعوة ظهر عم عبده عند البارقان وهو يقول :

— غرقت عوامة فى امبابية ..

التفتت الروس بشيء من الاهتمام . وسأله أحمد نصر :

— هل غرق أحد ؟

— كلا ولكن غرقت المحتويات .

فقال خالد عزوز

— نحن نعانى نقصا فى المحتويات لا فى الأفراد .

— وجاء بوليس النجدة !

— كان يجب أن يجىء أيضا بوليس الآداب ..

وتساءلت ليلى :

— لماذا تفرق العوامة ؟

فاجاب المعجوز :

— لغفلة الخفير .

فقال خالد عزوز :

— بل لغضب الرحمن على من فيها .

فأمثروا على قوله ورجعوا إلى الجوزة . ولما ذهب عم عبده

قال على السيد :

— حلمت ذات ليلة أننى صرت فى طول عم عبده وعرضه .

فخرج أنيس من صمته المألوف قائلا :

— ذلك أنك تهرب من الأحلام والإدمان ؟

رحبوا بتعليقه ضاحكين . وسأله على :

— ولكن مم أهرب يا ولى النعم ؟

— من الخواء !

ولما سكك الضحك استنطرد

— جميعكم أوغاد مصريون تهربون فى الإدمان والأوهام

الكاذبة ..

وتجنب النظرة نحو سمارة . وتنهت شياطينه المابثة

وتوالت تعليقات :

— أخيرا نطق

— هذا مولد فيلسوف !

وبات مركز الانظار ، وسأله مصطفى :

— وماذا عنى أنا ؟

— هارب من الإدمان والطلق ، يطاردك الإحساس بالتفاهة .
وميز ضحكة سمارة وسط هدير الضحك ولكنه تجنب النظر
إليها ، تخيل اضطرابها الخفى وتخيل وجهها وتخيل مصاريضها ثم
واصل كلامه قائلا

— كلنا أوغاد لا أخلاق لنا يطاردنا عفريت مخيف اسمه
المسئولية

قال رجب

— يجب أن نؤرخ حياة العوامة بهذه الليلة .

وقال مصطفى راشد :

— أراهن على أن (غبارة) الليلة مهربة من موسكو !

وسأله خالد

أنيس ، أيها الفيلسوف ، وماذا عنى وماذا عن ليلى ؟

— إنك إباحى منحل لأنك بلا عقيدة وربما أنك بلا عقيدة لأنك

منحل ، أما ليلى فما هى إلا رائدة زائفة منحلة مدمنة لا شهيدة
كما تتوهم !

فصاحت به ليلى

— قطع لسانك !

وأشار إلى سنية كامل قائلا :

— وأنت تمارسين تعدد الأزواج يا مدمنة !

مصرح

— يا مجنون !

— كلا .. أنا نصف مجنون فقط ولكنى أيضا نصف ميت ..

— كيف تجرأ على هذه الوقاحة ؟

فقال على السيد ملاطفا :

— أغضبت حقا يا سنية .. إنه ولى أمرنا ..

— لا أقبل أن أهان أمام غرباء ..

أوشك الوجوم أن يلتهم المرح ولكن رجب قال بتوكيد :

— لا غرباء بيننا ، سمارة منا وعلينا ..

فقالت ليلى :

— إنها منا حقا ولكنها عليك أنت وحدك !

فقال أنيس :

— لا ، إنها لا تبالى برجل يهرب من خوات فى الإدمان

والجنس ..

صاح رجب فى انبساط :

— ليلتنا قل يا جدعان !

— من يصدق أنك أنيس الصامت !

— لعله يجتر كتابا عن تدهور الحضارة .

ما تزال فى جوفى قنبلة أذخرها للمدير العام ، ليهدأ الضحك
المتفجر فى باطنى حتى أرى الأشياء ، هل تحطمت الملامل التى
تشد عوامتنا إلى الشاطئ ؟ ، والبدر يتوشب لاقتحام باب
شرفتنا الهش . أما الهاموش ، فقد أدرك آخر الأمر سر افتتاح
الدمر بضمه المصباح .

وقال وجب لسمارة
 - لست في أحسن أحوالك !
 فقالت دون أن تنظر إلى سنية ولكنها نظرت إليها في
 الواقع بفطور نبرتها
 - ذاك حال الغريب !
 - لا ، سنية امرأة العنان ، وهي أم روم حتى في عشقها ..
 فقالت سنية في سعادة :
 - أشكرك ، أنت خير من يعتذر عنى للأخت سمارة .
 فقال خالد عزوز
 - لا تبالفوا في توطيد السلام وإلا حل بنا الملل .
 وساد صوت القرقرة وحده وانداخت موجاته في شعاع القمر .
 مال له دمه المتدفق إن النوم عمير في هذه الليلة الهائجة ، وإن
 سيشهد مهاد العاشقين بلا عشق ، وراح يتذكر ما تيسر من أشعار
 لجانين . واختفى الحاضرون فلبث وحده مع الليل المضيء .
 ورأى فارسا يركض جواده في الهواء قريبا من سطح الماء فسأله
 من هويته فقال إنه الخيام وإنه نجح أخيرا في الهروب من
 الموت . واستيقظ على منظر سائقه المطروحة لصق الصينية ،
 طويلة بارزة العظام ، باهتة اللون في الضوء الأزرق ، كثيفة
 الشوك ، أصابع مقبسة الأصابع من طول إهمالها بلا قمر .
 ثم انتب إلى مصطفى راشد وهو يتسائل :
 - نحن هنا كما وصلنا ولي الأمر ؟



ما تزال في جوفى قنبلة أدخرها للمدير العام ليهدأ
 الضحك المتفجر في باطنى حتى أرى الأشياء

فقال خالد عزوز

— لا هروب ولا خلاصه ولكننا معهم حقيقتهما كما ينبغي لنا

وقد عسى لسيد

— عوامتنا هي الملاذ الأخير للحكمة البشرية .

— هل الاستغراق في الأحلام هروب ؟

— أحلام اليوم هي حقائق الغد .

— هل التطلع إلى المطلق هروب ؟

— أف .. وهل علينا من عمل سواء !

— وهل الجنس هروب ؟

— اخس ! .. إنه الخلق نفسه ..

— وهل الجوزة هروب ؟

— هروب من شيء إلى شيء

— هروب من حياة

— هروب من

— فلماذا هاجمنا ولي الأمر ؟

— هروب من

— ليلتنا قل يا جدمان !

— هروب من

— هروب من

— هروب من

— هروب من

— هروب من

من رأيها فيما سمعت فقال وجب :

— لم يخلق آخر الليل للمناقشة

فلماذا خلق ؟ ذهبوا جميعا عدا على الحيد وسنية كامل

وما ليثت الصالة أن خلت له ، وجاء عم عبده كالعادة فأتجز

مهمته دون أن يتبادلا كلمة ثم ذهب ، وزحف نحو الشرفة فرأى

القمر من جديد متألقا في مركز القبة المرصعة ، ناجاه متفهما أن

ليس كعوامتنا شيء ، الحب لعبة قديمة بالية ولكنه رياضة في

عوامتنا ، الفسق رذيلة في المجالس والمعاهد ولكنه حرية في

عوامتنا ، والنساء تقاليد ووثائق في البيوت ولكنهن مرافقة

وقتنة في عوامتنا ، والقمر كوكب سيار خامد ولكنه شعر في

عوامتنا ، والجنون مرض في أي مكان ولكنه فلسفة في عوامتنا ،

والشئ شيء حيثما كان ولكنه لا شيء في عوامتنا ، أيها الحكيم

تقديم (ايبو - و) أقدم بعصرك الذي اصمحل فيه كرسى .

شعر وتسمع الغناء ، حدثني ماذا قلت لفرعون أقبل الحكيم

(ايبو - و) وهو ينشد :

إن ندماءك كذبوا عبيد

هذه سنوات حرب وبلاء

قلت أسمعني مزيدا أيها الحكيم

ما هذا الذي حدث في مصر

إن النيل لا يزال يئن مفيض

إن من كان لا يملك أصحى الآن من الأثرياء

يا ليتني رفعت صوتي في ذلك الوقت

قلت ماذا قلت أيضا أيها الحكيم (ايبو - ور) ؟ فقال :
لديك الحكمة والبصيرة والعدالة
ولكنك تترك الفساد ينهش البلاد
انظر كيف تمتهن أوامرك
وهل لك أن تأمر حتى يأتبك من يحدثك بالحقيقة ؟ .

— ١٢ —

استيقظ على صوت يهمس باسمه ، فتح عينيه وهو مستلق
عليه ظهره في الشرفة فرأى هالة ناصعة في السماء تنشي
بالقمر المختفى عن ناظريه . أين المكان والزمان !
— أستاذ أنيس !
التفت فرأى سمارة واقفة فوق عتبة الشرفة . جلس معتمدا
على ذراعية رافعا إليها عينين لم تفيقا بعد من سكرة الحلم .
— أسفة لعودتي في وقت غير مناسب ..
— أما نزال في نفس الليلة ؟
— مضى على ذهابنا ساعة . أكرر الأسف .
تزعزع حتى أسند ظهره إلى جدار الشرفة وحاول أن
يتذكر .

— عدت من ميدان التحرير بعد أن أوصلتني رجب إليه .
— شرفت ، إليك حجرتي إذا تنازلت ..
قالت بجزع :
— لم أمد لأنام ، وأنت تعلم ذلك جيدا .
ثم بهدوء وهي تخفض عينيها :

— أريد مذكرتى

تساءل مقتطبا

— مذكرتك !

— إذا سمحت

تمطت شياطين العبت فى نفسه فقال محتجا :

— متهميننى بالسرقه !

— كلا . ولكنك عثرت عليها بطريقة ما .

— هذا يعنى انى سرقتها .

— بالله ردها إلى فلا وقت للكلام .

— سمحت

— لست مخطئة

إنى أرفض أن أسمع التهمة مرة أخرى .

— لا أتهمك بشئ . رد إلى مذكرتى التى فقدت منى هنا .

— سمحت

— سمعتك وأنت تردد ما دون فيها !

— لا أفهم

— بل تفهم كل شئ . ولا داعى لتعذيبى .

— التعذيب ليس هوايتى .

— الليل ينتهى بسرعة .

فصائلها مداعبا

أتعاسبك ماما على التأخير ؟

— استاذ ، كن جادا ولودقيقة واحدة .

— نحن لا نعرف الجد .

تساءلت فى قلق :

— هل تنوى إفشاء سرها ؟

— من أين لى ذلك وأنا لا أدرى عنها شيئا !

— كن لطيفا كالعهد بك .

— لست لطيفا ، أنا نصف مجنون ونصف ميت ..

— المدون فى المذكرة لا يمثل رأى فيكم ولكنه جملة الآراء

التي أعدها للمسرحية .

— عدنا إلى الألفاظ والاتهام .

— ما زلت طامعة فى كرم أخلاقك .

— ما الذى حملك على هذا الظن ؟

— إنك ردوت كلمائى بالحرف .

— ألا تؤمنين بتوارد الخواطر ؟

— إنى مؤمنة بأنك سترد إلى مذكرتى ..

— إذن فأنت تتصورين أنك قادرة على أن تفهمى فى أيام ما

أعجز عنه فى أعوام !

وضحك ضحكة خرقاء صمتت الخلاء فوق النيل وقال بلهجة

جديدة :

— أفكارك فارغة ، صدقينى ..

هتفت بارتياح :

— ها أنت تعلم .

— ساردها إليك ولكنها لا تصلح لشئ ..



لا تسمي بي الظن ، إني أحبكم حقا وأرغب في صداقتكم

— ما هي إلا ملاحظات مبدئية لم تدرس بعد .

— لكنك فتاة رديئة !

— الله يسامح

— جئت لا لصداقة ولكن للتجسس

قالت محتحة

— لا تسمي بي الظن ، إني أحبكم حقا وأرغب في صداقتكم ،

وفضلا عن هذا وذاك فإنني أؤمن بأنه يوجد بطل كامل في كل فرد . ولم يكن يهمني معرفة حقيقتكم بقدر أن أخلق منها ما ينفع

لا تجهدى نفسك انتحال الأعذار فإن الأمر في الواقع لا

يهم

ومد لها يده بالذاكرة وهو يقول

— اما الحمسون قرشا فيسرني أن أظل مدينا بها إليك .

مساءلت في انزعاج

— ولكن كيف .. أعنى

— كيف سرقتها ؟ .. المسألة غاية في البساطة فنحن نعتبر

جميع ما تقع عليه اليد في العوامة من القطاع العام !

— بالله اعطنى تفسيراً يريح القلب .

فقال ضاحك

— كانت نزوة لا تقاوم

الفساد في حوزة

— كلا ، لم يبلغ بي الفقر هذا الحد .

— إذن لماذا أخذتها ؟

— وجدت في استغلالها على ذلك الوجه نوعاً من القربى

إليك !

— الحق أنى لا أفهم .

— ولا أنا .

— ولكنى بدأت أشك في منهجى كله .

— من الأفضل ألا يكون لك منهج على الإطلاق .

ضحكت مذبذبة

— إلا ما يوصلك إلى الرجل المنشود !

ضحكت مرة أخرى فعاد يقول :

— إنى أفهمك كما يفهمك الجميع .

كانت همت بالذهاب فثبتت في مكانها مستطلعة فقال :

— إنك شرفتنا من أجل رجب ..

نضحكت باستهانة فقال وهو يشير إلى الحجرة المغلقة :

— حذار أن توقظى العاشقين !

— لست كما تظنون ، إنى فتاة ..

فقاطعتها

— إن كنت فتاة حقاً فتعالى إلى حجرتى لتثبتى ذلك !

— كم أنك ضريف ولكننى لن أعجبك ..

— لماذا ؟

— لأنه فطيع أن تكون الفتاة جادة .

— ولكننى لا أدعو من اللقيات إلا الجادات .

— حقاً ؟ !

— جميع بنات الليل جادات .

— الله يسامحك .

— لا يعرفن العيب ، يعملن حتى الهزيع الأخير من الليل ، لا

للهو أو للذة ، ولكن لهدف تقدمى وهو أن يعشن حياة أفضل !

— عيب هذه العوامة أنه لا يعرف بها الجد من الهزل .

— الجد والهزل اسمان لشيء واحد .

تنهدت مؤذنة بإنهاء الحديث غير أنها ترددت لحظة ثم سألته :

— هل تنوى أن تنقشى سر المذكرة ؟

— لو كان ذلك فى نيتى لفعلت .

— أستحلفك بكل عزيز أن تصارحنى بما فى نفسك .

— فعلت .

— أن أختفى خير من أن أطرد .

— لا أريد هذا ولا ذاك .

صافحته مودعة وهى تقول بنبرة حميمة :

— شكراً .

ذهبت مسرعة وصوت عم عبده يؤذن لصلاة الفجر .

هتزت العوامة مؤذنة بقدام جديد رغم تمام المجلس وتساءلوا
ممن يكون . ثم التفتوا نحو الباب باهتمام لا يخلو من قلق ، وقام
حمد نصر ليعترض سبيل القادم عند المدخل ولكن ضحكة معروفة
— مت إليهم ثم وضع صوت سناء وهي تهتف (هاللو !) دخلت
ساحبه وراءها شابا أنيقا فتعفن رجب لاستقباله وهو يقول :
هلا رءوف !

وقدحه للصحاب قائلا : (نجم الشاشة المعروف) .. وجلسا
رسم مرحاب رسمي هاتر . وقالت سناء بصوت أجرا من عاداتها
— اتعبنى حتى أذعن للمجرء . قال كيف نقتحم على ناس
خلوتهم . ولكنه خطيبى والعوامة أسرته !
وتلفت التهانى من جميع الشلة فعاتت تقول وقد وشت
أنفاسها بالشراب

— وهو مثلكم من أهل ذلك
وأشارت إلى الجوزة ضاحكة . ولم يبال أنيس بالعرج وأدار
الجوزة بكل نشاط وقالت سناء .
— هذه فرصة سميدة يا رءوف . إليك الناقد الكبير على



دخلت ساحبة وراءها شابا أنيقا

السيد والكاتبة المعروفة سمارة بهجت ، ومن تجمعهم الجوزة ،
يفرق بينهم رأى أو ذوق !

فقال رجب :

— ولكن سمارة للأسف لا تتعامل مع الجوزة .

منذ كنت مسنونة

— إذن فلماذا تدمن على زيارة العوامة ؟

وهمس رءوف فى أذنها بكلمات لم يتبينها أحد ولكنها
ضحكت فى استهتار . وجاء عم عبده ليغير ماء الجوزة فلما ذهب
قالت سناء لرءوف :

— أتصدق أن كل هذا البناء رجل واحد ؟

وصحكت ولكن وحدها . وساد صمت متوتر مقدار ربع ساعة
ثم أقمتها رءوف بوجوب الذهاب فقام آخذا بذراعها وهو يقول :
— معذرة . لا بد من الذهاب لموعد عاجل ، فرصة سميذة ..
أوصلهما رجب حتى الباب ثم عاد إلى مكانه . وتجهم المجلس
رغم دوران الجوزة ، وجعل رجب يبتسم إلى سمارة ملاطفا ولكنها
قالت وهى تومئ إلى الجوزة :

— مهما قلت فلن يصدقنى أحد ..

فقالت ليلى زيدان

على أى حال فليست هى بالتهمة الشائنة ..

— إلا عند الأعداء

فقال رجب ببساطة :

— لا أعداء لك إلا الرواسب البرجوازية .

ولكنها تكلمت عن الإشاعات فى الوسط الصحفى ، وذكرت
مسكنها القديم فى المنيل ، وكيف كانت عودتها المتأخرة إلى
البيت تثير القيل والقال بين الجيران .

— ولما قالت ماما لهن إن عملها فى الصحافة يضطرها إلى
ذلك قلن وما الذى اضطرها للعمل فى الصحافة ؟
فقال رجب :

— لكنك تقيمين الآن فى شارع قصر العيسى ..

وأراد مصطفى راشد أن ينكش أنيس لعله يجدد ثورة الأمر
نيبدد وجوم المجلس ولكنه لم يخرج من عالمه .. كان يفكر فى
العلاقات المفرغة التى تحاصره كل يوم كشروق الشمس وغروبها
وبزوغ القمر وأفوله والحضور والانصراف فى الوزارة والإقبال
والإدبار فى الجلسة والصور والنوم ، تلك العلاقات المذكورة
بالنهاية والتى تجعل من أى شىء لا شىء . وقد دار معها الآباء
والأجداد . وتنتظر الأرض انتظارا لا يعرف الجزع لتستمد من
أمالنا وممراتنا أسمدة لتربتها . فلا بأس أن تحتدم الأشواق فى
سحابات الدخان المضمخ بشذا السحر المحرم الفامض .

أما ليلى فتعذب نفسها بالحب العقيم وتوغل فى القضاء
كسفينة كونية أفلتت من مدارها . وإله الجنس يمد مائه حتى
استقر حذاؤه الأبيض لصق المجرة وهو يرماق الفتاة المزعجة
اللزيدة بنظرات متسللة من عينييه السوداوين الجذابتين . وكلام
كثير قيل عن سناء وخطيبها ولكن رجب لم يشترك فيه . ولما
انتبه الصحاب إلى انهماك الكلى فى سمارة قال مصطفى راشد :

—نحن سعداء إذ نعاشر قصة حب كبير .

فقال خالد عزوز

—قلنسمة باسمه الحقيقى .

فقال أحمد نصر

—بالله لا تفسد علينا الحلم .

فقالت ليلى زيدان

—الجديد فيه أن أحد طرفيه إنسان جاد .

وتساءل خالد عزوز :

—ترى ما موقف محبة جادة من محب عابث ؟

فأجاب رجب

—تطهره من عبثه .

—وإذا كان العيب جوهره الذى لا يتغير ؟

—لا مفر من انتصار الحب فى النهاية .

وصحكت سمارة هازئة . فقال خالد :

—بهمنى أن أرى فتاة جادة وهى تحب ، إذ أن انزلاق قدم
وزير أضحك بكثير من انزلاق قدم بهلوان .

فقال على السيد :

— لا فرق فى الحب بين جادة وعابثة ، الجدية دعوة إلى

الاهتمام العملى بالشئون العام أسوة بالشئون الخاصة ..

مغمز خالد بعينيه ناحية سمارة وتساءل :

—بأنى الناحيتين تراها مهتمة الآن ؟

وارتفع الضحك ثم عاد خالد يتساءل :

—هل ثمة أمل فى تطويرها نحو الاهتمامات العامة ؟

—إن آمالها متعلقة بالجيل الجديد .

فنظر خالد نحو رجب قائلا :

—الظاهر أن جيل الأربعين لم يمد يصلح إلا للحب ..

—هذا إذا كان يصلح له حقا .

فقال أحمد نصر :

—الجيل الجديد خير منا .

فتساءل مصطفى راشد :

—أليس ثمة أمل فى أن نتغير نحن ؟

فأجاب خالد :

—نحن نتغير عادة فى المسرحيات والأفلام وهذا هو سر ضعفها .

—هذا هو سر نجاح الهزليات التى تصورنا على حقيقتنا .

—لماذا لا تعترف بذلك فى مقالاتك ؟

—لأننى منافق .. وقد عنيت بقولى السابق الهزليات

الغريبة أما هزلياتنا المحلية فتنتهى عادة بتغير مفاجئ للممثل

الهزلى فى شكل موعظة سخيفة ، ولذلك فالفصل الثالث يكون

مادة أضعف فصول المسرحية وهو يكتب فى الواقع للرقابة .

والتفت خالد نحو سمارة وقال :

— إذا فكوت يوما أن تكتبى مسرحية عن أناس مثلنا

فانصحك كزميل فى الفن أن تختارى الشكل الهزلى ، أمضى

المهزلة أو اللامعقول وكلاهما شئ واحد ..

فقالت متجاهلة نظرات رجب :

— فكرة تستحق الدراسة —

— تجنبى الأبطال الهادفين الذين لا يبتسمون ولا ينطقون
إلا عن المثل الأعلى ويدعون إلى كيت وكيت ، ويحبون بصدق ،
يضحون ، ويرددون الشعارات ، ثم يقتلون فى النهاية النظارة
بثقل دمهم

— سأعمل بنصيحتك وأكتب عن الآخرين الذين يقتلون
النظارة بخفة دمهم !

— ولكن هؤلاء أيضا مشكلتهم الفنية . إنهم يعيشون بلا
عقيدة ، يقضون أوقاتهم فى العبث لينسوا أنهم سيتمولون بعد
قليل إلى رمال وعظام وبرادة حديد وأزوت ونيتروجين وماء ،
ويرهقهم فى ذات الوقت أن الحياة اليومية تفرض عليهم ألوان
من الجدية الحادة التى لا معنى لها ، وأن مجانين من حولهم
يهددونهم بالنسف فى أى لحظة . أمثال هؤلاء لا يعلمون ولا
يتطورون فكيف تصنعين بهم فى مسرحية ترجين لها النجاح ؟
— هذه هى المسألة !

— وثمة مشكلة أخرى ، أن أحدهم لا يختلف عن الآخر إلا فى
القشور ، ذلك أن أحدهم لا يكون شخصية ولكنه يتكون من عناصر
متحللة كبناء متهدم ، ونحن قد نفرق بين بيت وبيت ولكن كيف
نفرق بين كرمين من الأحجار والأخشاب والزجاج والخرسانة
والملاط والتراب والطلاء ؟ .. إنهم كلوحات الفن الحديث .. الواحد
كالآخرين فكيف تبررين تعدد الشخصيات فوق المسرح ؟
— إنك توشك أن تنصحنى بالعدول عن الأدب !

— كلا ولكنى أقول لك إنه كما أن الطبقات للطيبين

والخبثات للخبثين فإن مسرح العبث للعابثين ، لن يحاسبك
الأخ على السيد على انعدام الحدث أو الشخصية أو الحوار ولن
يحرجك أحد بالسؤال عن معنى هذا أو ذاك . ولما كان لا يوجد
أساس للتقييم فلن يهزك من يخلخلك وستجدين من يرفعك ومن
يقول بحق إنك عبرت بمسرح فوضى عن عالم ماهيته الفوضى ..
— ولكننا لا نعيش فى عالم ماهيته الفوضى !

فقال وهو يتنهد :

— هذا فراق بينى وبينك ويمكنك الآن أن تعودى إلى نظرات
الأخ رجب !

لا شيء هنا يدور بيقين وهو يعرف هدفه إلا الجوزة . وعما
قليل سيهبط الثعاس من موطنه السحري بين النجوم فيعقل
الأكسنة . والواجب أن العشق الجديد سيثمر قبلة فى الهزيع
الآخر من الليل تحت شجرة الجافة . ومن قبل دارت الأرض
ملايين ملايين السنين حتى أثمرت هذا المجلس فوق سطح النيل .
واختلج القمر عن ناظريه ولكنه رأى البرص فوق باب الشرفة .
يجرى ثم يتوقف ثم يجرى . كأنما يبحث عن شيء . وتساءل :

— لماذا توجد حركة ؟

فالتفتوا نحوه متوقعين مفاجأة ما ، وسأله مصطفى :

— أى حركة تعنى يا ولى الأمر ؟

فتتمم وهو يواصل عمله :

— أى حركة ..

ولما كان اليوم عطلة رسمية لمناسبة الهجرة فإن أنيس قضى النهار بين الشرفة والصالة غائبا فى انسجام شامل ، وقبيل المقيب جاء عم عبده ليعمد المجلس فهنا أنيس بالعيد لثالث أو لرابع مرة وهو يظن أنه يهنئه لأول مرة . وسأله أنيس عما يعلم عن العيد فأجاب الرجل أنه اليوم الذى هاجر فيه النبى من الكفار . ولعن الكفار ، فقال أنيس :

— سوف يملأون هذا المجلس الذى تعده بعد قليل !

فضحك العجوز غير مصدق فمضى أنيس فى عبثه قائلا :

— إنك يا عم عبده هارب فى الإيمان .

— هارب .. جئت إلى هنا ذات يوم فوق عربة قطار .

— من أى بلد ؟

...

— من أى جريمة هربت ؟

— أروه ..

إنه مصر على النسيان فلعله جاء هربا من جريمة أو حملت موجة الثورة سنة ١٩١٩ . وأنه لم يعد يدرى ولن يدرى أحد .

وسأله موقلا فى العبث :

— أنت جاد يا عم عبده ؟

— أروه ..

— ألم تعلم بأن سمارة نبية جديدة ؟

— أستغفر الله العظيم .

— وقد جندت منا جيشا سنحارب به العدم ثم تسير إلى

الأمام ..

فسأله الرجل بسذاجة :

— إلى أين ؟

— إلى السجن أو مستشفى المجانين .

فقال وهو يعض إلى صلاة المغرب :

— إنى أبحث عن قط لكثرة الفئران فوق الجسر .

وما لبث أن جاء الصحاب مبكرين عن موعدهم احتفالا

بالعطلة الرسمية . وشرع أنيس فى نشاطه ، وتحدثوا بعض

الوقت عن شئونهم العائلية . وأعلن رجب عن عزمه على رفع أجره

فى الفلم إلى خمسة آلاف جنيه فهناه خالد عزوز وقال له إنه

بذلك يثبت ولاءه للاشتراكية العربية . وضحك رجب ولكنه لم

يعلق على قول صاحبه وراح يتحدث عن مناء وكيف تظهر مع

رءوف فى الاجتماعات والاستديوهات بصفتها خطيبته مؤكدا أن

الخطبة لن تتوج بالزواج . وهنا تساءلت ليلى زيدان :

— حتى متى تظل شلثة البدية شاغرة ؟

فأجاب على السبيل :

— عادت مع البعثة الصحافية من زيارة المصانع أمس
ومستجىء صمارة الليلة غالبا
وقال خالد عزوز لوجب
— حدثنا بصراحة عن علاقتك بها .
فابتسم دون أن يجيب فقال خالد :
— هل ثمة جرسنييرة من وراء ظهورنا ؟
— كلا ، يجب أن تصدقونى فليس بين أهل العوامة سر !
— إذن فيجب أن تعترف بأول هزيمة تحل بك فى حياتك .
— لا وسكنى لى زكرى هجوم كى أستعيد ذكريات الهوى

بشرى

— من ناهيتك أيضا ؟

— من ناهيتك أيضا ؟

جذب نفسا طويلا ثم زفره متأنيا وقال :

— تساءلت منية كامل :

— حب رجبى ؟

— حب رجبى ؟

— هذا هو الحب لا شيء من حيث الجوهر

— هذا هو الحب لا شيء من حيث الجوهر

— هذا هو الحب لا شيء من حيث الجوهر

— هذا هو الحب لا شيء من حيث الجوهر

فقال على السيد :

— ولكنها ذات شخصية قوية .

فقالت سنية كامل :

— إنها صفة منفرة لدرجة ما فى المرأة .

فحدجتها ليلى بنظرة استياء فاستدركت فى مرج :

— إلا فيما ندر ..

وقال رجب :

— إن مظمة الفزاة تقاس بمناعة الحصون التى يفتحونها ..

فقالت ليلى زيدان

— ولكن الذرة لم تجعل للحصون قيمة ولا للفزاة فضلا !

فقال أحمد نصر :

— إنها رفضت زواجا فاخرا وهذا تصنف يستحق الإعجاب

فى ذاته .

قالت سنية كامل :

— لا تحكم من قبل أن تعرف (ثم متوجهة إلى رجب) أم تمنح

لك بطريقة ما إلى الزواج ؟

— الزواج يجىء أحيانا بلا تلميح كالموت ..

— صارحنى أيمكن أن تفكر أنت جديا فى الزواج ؟

تردد قليلا قبل أن يقول لا أثر تردده فى النفوس تأثيرا

عميقا لماذا لا أرفع بالمجرة إلى الشرفة لأستمع بمهرجان الذهب

إن توهجه خالد لا كتوهج النجوم الزائفة ، ولكن المرأة كالعبارة لا

تعرف برائحتها الدسمة ولكن عندما تستقر أنفاسها لاحتراق فى

الأمعاق . وكلوباطرة على كثرة غرامياتها لم يعرف سر قلبها .
وحب المرأة كاللن الهادف لا شك في سمو هدفه ولكن تحوط
بنزاهته الريب . ولا يشتفع مخلوق بهذه العوامة كالفتران
والحراسير والأبراص . وليس كالحزن شئ يقتحم عليك المأوى بلا
دعوة وأمس قال لى الفجر عند طلوعه إنه فى الحقيقة لا اسم له .
وانتبه إليهم وهم يتناقشون فى اللحوم البلدية والسماك
الروسى والعملة الصعبة والمعادلة العسيرة . ثم يضحجون
بالضحك . واهتزت العوامة مؤذنة بقادم فساد الصمت ثم تمت
سنية كامل

— العروس !

جاءت سمارة مرحلة نشيطة فصافحتهم بحرارة وهنأهم
بالعبد . وسرمان ما سئلت عن الرحلة فأجابت بأنها كانت رائعة .
وأن عليهم أن يقوموا بمثلها لكى يخلقوا خلقا جديدا . وثقل خالد
عينيه بين الحاضرين ثم تسأل :

— ترى أيمكن أن نخلق خلقا جديدا ؟

تبادلوا النظرات ثم أغرقوا فى الضحك . وقال لها مصطفى

راشد

— الحق عليك . إنك لم تكشفى لنا عن سر جديتك وحماسك !

— لن أقع فى الشرك !

— وأصح أنك فى الإيمان القديم مثلنا . ومثلنا أيضا فى
الطبقة التى تنحدر نحو الهاوية . فكيف عثرت بعد ذلك على
معنى ؟ . وخبرينا على الأقل ما هو ؟

ترددت مليا ثم قالت :

— إنها الحياة لا المعنى ..

— نحن نشعر بدفعها فى غرائزنا . وفى تلك الحدود نمارسها
على خير وجه .

— كلا ..

— سبق أن قلنا لك ..

قاطعته :

— بعض غرائزنا تعبد الموت كما تعلمون ..

— والمخرج ؟

— الخروج من القوقعة ..

كلام طلى ولكنه لا يقدم ولا يؤخر .

— الحياة فوق المنطق .

عند ذلك قال لها رجب :

— عودى إلى حذرك فقد وقعت فى الشرك .

وجاء عم عبده ليفير ماء الجوزة فاشتى له على السيد على
جودة الصنف فقال الرجل :

— أمس نصحنى المعلم بأن نشتري تموين شهر لأن المخبرين
يراقبونه .

— مزامرة لابتزاز أموالنا فلا تصدقه .

وسألته سمارة :

— وأنت يا عم عبده ألا تخاف المخبرين ؟

فأجاب عنه مصطفى راشد :

— لقد طعن في السن لدرجة تجعله فوق القانون !

ولم نجم في الأفق كبسمة صافية ، سأل عن المخبرين وهل يراقبون المعلم حقا فأجاب بأنهم يراقبون المفيقين لا المساطيل ، وأن النجوم تلمع كلما اقتربت من الأرض وتخبو كلما أوجلت في الفضاء ، وأن بعض الأضواء التي تزين القبة صدرت في الأصل من نجوم قد كفنها الدم ، وأن القوة التي تسخر الأشياء أقوى من القوى التي تسخر الأشياء وتهاوى شهاب فجأة حتى خال أنه استقر وراء العوامة فوق البنفسج . وقال :

— جميع موظفي الإدارة أخذوا مكافآت تشجيعية سوى .

ولعن أحمد نصر المدير العام فقال أنيس :

— وقفت في الحجرة غاضبا لأعلن احتجاجي ولكن غلبني

وصحكوا ولكنه هز كتفيه . وتذكر على السيد كيف كانا يحتفلون بالهجرة في القناطر فقال رجب القاضي :

— خير احتفال بالهجرة أن نهاجر ..

وتألق وجهه بخاطر جديد فيما بدا فقال :

— ما رأيكم في أن نجوب الخلوات في مياراتي ؟

—

— فنطلق بعد منتصف الليل .

رحبت سمارة بالاقتراح . وقال أحمد نصر إن في الحركة

بركة . ولم يعترض أحد إلا أنيس الذي تمتم :

— لا .

ولكن هل تمضي القافلة في مياراتين ؟ . بل في سيارة واحدة وإلا فلا معنى لها . كيف والسيارة لا تتسع إلا لسبعة ونحن تسعة ؟ . فلتجلس ليلى على حجر خالد وسنية على حجر علي . وتضاعف الحماس للرحلة التي جاءت بغير تدبير سابق . وقال أنيس بفتور :

— لا .

ولكنهم أصروا على اصطحابه . وهل تتم مقامرة كهذه بغير ولي الأمر . ورفض أن يتحرك أو أن يغير ملابسه فأصروا على أخذه بالجلباب . وعند منتصف الليل قاموا للذهاب . وأذن أنيس لهم على كره . ومضوا نحو السيارة مبكرين من موعدهم فوقف عم عبده أمام كوخه كالنخلة وهو يتساءل :

— هل أنظف المكان

فقال أنيس :

— أترك كل شيء على حاله حتى نرجع .

تحركت السيارة تحمل في المقعد الامامى رجب وسمارة
وأحمد نصر على حين تكس الباقون في المقعد الخلفى كجسد
مفلطح ذى خمسة رؤوس . اتجهت نحو شارع الهرم فى شبه خلاء
من المارة والسيارات . واقترح رجب طريق سقارة مجالا للراحة
فلاقى اقتراحه استحسانا ممن عرف الطريق ومن لم يعرفه . أما
أنيس فقبض فى جلبابه صامتا وقد ضغط فى جانب السيارة الايمن .
قطعوا طريق الهرم فى دقائق ثم انعطفوا نحو طريق سقارة
وهناك انصابت السيارة فى سرعة غير عادية فى طريق مظلم
مقفر . ووضحت معالم الطريق بعض الشيء على ضوء السيارة
فإذا به يمتد فى الظلام بلا نهاية ، محفوقا من الجانبين بأشجار
الجازورينا الضخمة تتلاقى أفصانها فى الأعلى ، ويكتنفه من
الناحيتين فضاء ريفى المنظر والنسمة والوحشة ، يجلله الصمت ،
ويشق جناحة الأيسر بطول الطريق تربة قاتمة الوجه تتنضح
بعض مطوحها بلون رصاصى غامق مميز عما حولها تحت ضوء
النجوم الخافت ، وازدادت السيارة سرعة وتدفق الهواء من
النافذة جالفا متمشا مشبها بأخلاط النباتات . وقالت منية كامل
لرجب

— هدى السرعة .

وقال خالد عزوز :

— لا تجاوز السرعة اللائقة بمساطيل .

وسألته سمارة :

— أنت من هواة السرعة ؟

نحن نزور الآن قوافل فرعونية قديمة فلنقرأ الفاتحة .

وسرعان ما استرقت السيارة سرعتها الأولى فاقترح خالد
أن يتوقفوا قليلا ليتجولوا فى الظلام . وحبوا جميعا بالاقتراح
فمضت السيارة تهدىء من سرعتها . ثم مال بها رجب إلى رقعة
متربة بين شجرتين ووقف . فتحت أبواب وغادرها أحمد وخالد
وسنية وليلى ومصطفى وعلى . ترحل أنيس عن الباب المفلق
وجلس جلسة مريحة لأول مرة وهو ينفض جلبابه ليطلق سراحه
ويفتش بقدمه عن فردة شبشبته التى انسلت فى الزنقة . ولما
دعوه إلى اللحاق بهم قال بإيجاز :

— كلا .

فقبض رجب على يد سمارة التى همت بالخروج وهو يقول :

— لا يجوز أن نترك ولى الأمر وحده .

ابتمدت القافلة نحو شاطئ التربة وهم يتكلمون
ويضحكون ، انقلبوا أشباحا تحت أشعة النجوم . وسرعان ما
اختلفوا تماما فى توغلهم فلم يعد يجرى من ناحيتهم إلا أصوات
مجردة . وتساءل أنيس بنبرة خاملة :

— ما معنى هذه الرحلة ؟



حولت رأسها نحو الحقول كأنها
لتصفي إلى صرار الليل والضفادع

فأجاب وجب معاشا

— المهم الرحلة لا المعنى !

هممت سمارا احتجاجا على التعريض بها ولكن أنيس تشكى

قائلا

— الظلام يبعث على النوم

فقال له محماس

— انعم بالنوم يا ولى الامر .

والتفت نحو سمارا وقال :

— يجب أن نتكلم عن شئوننا بصراحة توافق الصدق الفطرى

محماس

يعز النوم على من يشاهد كوميديا غرامية . والصدق يحلو

بعد منتصف الليل فى طريق سقارة . وها هى ذراعه تزحف فوق

مسند المقعد . كل شىء يحتمل أن يحدث فى طريق سقارة .

— أجل لنتكلم عن حبنا

سمارا

— نا .. نا .. حبنا هذا ما عنيت تماما .

يتعذر على أن أتعامل مع إل

— يتعذر على أن شطيتنا لم نتعارفنا بعد !

حولت رأسها نحو الحقول كأنها لتصفى إلى صرار الليل

والضفادع . وتمتمت ما أجمل النجوم فوق الحقول . ترى أى

أفكار جديدة دونت فى الذاكرة ؟ . وهل يقدر لنا أن نرى أنفسنا

فوق خشبة المسرح ذات ليلة وأن نلقه مع النظارة ؟

— أعرف ما تريدون قوله

900

— اِنك لست كالأخريات ؟

— أنت تقول ذلك ؟

..ولكن الحب..

—ولكن الحب؟

— إنك لا تصدقيني !

أين الصدق في هذا الظلام ؟ وماتعنى أصواتنا للحشرات ؟ .
وأنت في الأربعين وعليك أن تغير دورك في الأفلام المقبلة . إلا
تدري كيف انطوى كازانوف الهائل في مكتبة الدوق ؟ .

— لا تقل رواسب برجوازیه من فضلك .

— فكيف أنصر خوفك ؟

— أنا لا أخاف :

— إذن فهي عمدة الثقة ؟

— سمعتك تتردد ذلك في فيلم .

— لعلی لم أومن بعد بالجديۃ ولكنی امنت بك .

—إنها عقدة دون جوان!

فمن بعد ذلك في سنة ١٠٠٠ هـ في رأس كانون في الأيام
التي هي بين ١٠ و ١٥ من الشهر المذكور والموت والموت قد عاشت
في سنة ١٠٠٠ هـ في رأس كانون في الأيام
التي هي بين ١٠ و ١٥ من الشهر المذكور والموت والموت قد عاشت
في سنة ١٠٠٠ هـ في رأس كانون في الأيام
التي هي بين ١٠ و ١٥ من الشهر المذكور والموت والموت قد عاشت

— ممكن أن ألتزم بالبراعة حتى نتزوج !

—نقزواج!

– ولكن بس شيطان يثور على الروتين ..

— الروتين ؟

— بالإشارة تفهمين كل شيء ولكنني لا أفهمك ..

أين الشرق وصوت تلاطم الأمواج أين ؟ والجوذة ورائحة الماء
وعم عبده أين ؟ والخواطر التى تومض كالبرق ترتطم بالشباب
الجازورينا ثم تختفى ولكن أين ؟

— لماذا رفضت الزواج من الرجل المرموق ؟

— لم أقنع به .

— یعنی لم تحببہ ؟

— إذا شئت ..

—إنه مثلي في الأربعين؟

— ليس ذلك .

—الاقتناع مهم في الاختيار الحر لا في الحب .

— لا أدري .

— والجنس ؟

—سؤال جدير بالإهتمام .

وصاح أنيس بصوت يدد داب الليل :

- تقعيد ونجويد للسنن والحدود والحضر يا مرمية علماء.

النحو..

التفتنا نحوه في انزعاج ثم صحكنا . وقال رجب

— ظففتك ثائما

— حتى متى نبقى فى هذا السجن ؟

— مكثنا ساعة .

— ولماذا لم تنتحر ؟

— كنا نحاول العب !

وترامت من جوف الليل أصوات القافلة ، ثم لاحت أشباحهم مبعثرة وهى تقترب . أقبلوا نحو السيارة ثم أحاطوا بمقدمها ، أجل يا عزيزى كان من السهل قتلنا فى الخلاء . وأسفاه على أيام لفرسان والصعاليك . وقال خالد إنه أوشك أن يرتكب الخطيئة الأولى لولا الرائدة الزائفة .

وقال مصطفى راشد

— وفى الظلام قررنا أن نختبر عصريتنا فاستبقنا إلى

الاعتراف بأخطائنا

أشنى رجب على براعة الفكرة فاستطرد مصطفى :

— واعترف كل منا بأثامه ..

— اثامه ؟ !

أعنى ما يعتبر كذلك لدى الرأى العام ؟

— وكيف كانت النتيجة ؟

— رائحة

— كم منها ما يعد جريمة ؟

— عشرات

— وما بعد جنحة ؟

— منات

— ألم يرتكب أحدكم فضيلة ما ؟

— المدعو أحمد نصر ؟

— لعلك تعنى إخلاصه لزوجته ؟

— وللتعليمات المالية ولأنحة المخازن والمشتريات !

— وكيف كان رأيكم فى أنفسكم ؟

— أجمعنا على أننا طبيعيون لا يشيننا شيء . وأن الأخلاق

التي تديننا أخلاق ميتة مستوحاة من عصر ميت . وأننا رواد أخلاق جديدة صادقة لم ينتظمها التشريع بعد ..

— برافو .. برافو ..

استسلم لمنظر الأشجار وهى تطوق الطريق على طول بإحكام جمالى خارق . لو تبادلت مواضعها على جانبي الطريق لانهارت العلوم والمعارف . وهى حية تسمى حول غصن تريد أن تقول شيئا . أجل قولى شيئا يستحق أن يسمع . ولكن ما ألعن الضوضاء .

— دعونى أسمع !

فضحكوا لزعقته . وتساءل مصطفى :

— ماذا تريد أن تسمع ؟

وتكدسوا فى السيارة فانضبط فى الباب كأول الامر

واختلت الحية تماما . وقال رجب :

— سيفقدكم مائق عصرى !

تحركت السيارة وهى تزجر كالعاصفة ، ثم انطلقت فى قوة .

ومضت تستزيد من سرعتها حتى بلغت ذروة جنونية .

ندت ضحكات هستيرية ، وأصوات متهدجة ، ثم ارتفعت احتجاجات واستغاثات . انهالت الأشجار متطايرة إلى الراء واجتاح الأجساد إحساس أهوج بالتروى فى هاوية وتوقع ملزع بالارتطام فى قرارها

— جنون .. هذا جنون

— سيقضى علينا بلا رحمة .

— قف .. يجب أن نسترد أنفسنا .

— لا . لا .. حتى الجنون يجب أن يقف عند حد .. لكنه رفع

رأسه فى نشوة مخيفة ودفع السيارة إلى أقصى سرعة وهو يصرخ كالهتود الحمر فاضطرت سمارة إلى مس ذراعه هامسة :

— من فضلك ..

وقال خالد بعصبية

— ليلى تبكى فارجع إلى صوابك !

اه مات الخيال ولم يبق فى الرأس إلا ضغط الدم . القلب يهبط كاسوأ نكسات البلوعة . أطبق جفثيك حتى لا ترى الموت

وفجأة دوت صرخة مروعة . فتح عينييه مرتعدا فرأى شبحا أسود يطير فى الهواء . ارتجت السيارة بعنف وكادت تفقد توازنها . وهمستهم فرملة شديدة فارتطموا فى المساند والأبواب وانعصروا فى تأوه وحشى .

— شخص ما تحطم .

— قتل عشر مرات .

— نهاية متوقعة .

— وليلة سوداء

صاح رجب بصوت أجش :

— تمالكوا أنفسكم .

وقام نصف قومة لينظر إلى الراء . ثم جلس مرة أخرى ودفع السيارة فانتطلقت . مال أحمد نصر نحوه كالمستطلع فقال بتصميم :

— يجب أن نهرب ..

وركبهم صمت مريض فاستدرك :

— هو الحل الوحيد .

لم ينبس أحد بكلمة حتى همست سمارة :

— لعله فى حاجة إلى مساعدة ؟

— لقد انتهى .

فقالت بصوت أعلى درجة :

— لا يمكن القطع برأى .

— لسنا أطباء على أى حال .

فوجهت مزاها إلى الجميع :

— ما رأيكم ؟

ولما لم يتحرك لسان تمتعت :

— أظن ..

وإذا به يفرمل غاضبا حتى وقف بالسيارة فى وسط الطريق

ثم التفت إليهم قائلاً :

— لن يقال غدا إننى قورت الهرب برأىي وحده ، إنى رهن
إشارتكم فما رأيكم ؟

ثم صاح محتجاً على الصمت :

— أجيبنى ! .. أعدكم بأن أصدع بما تأمرون .

قال خالد

— يجب أن نهرب ، هو الحل الوحيد ..

فقال أحمد نصر

— أبعدنا عن الطريق لنتهيأ لنا فرصة للتفكير فى مكان

— لا وقت للعدالة ، أريد رأياً صريحاً ..

فقال على السيد

— امض ، يجب أن نهرب ، ومن عنده رأى آخر فليتكلم .

وقال مصطفى فى جزع :

— تحرك وإلا صاع الأمل .

وبكت لبللى فسرت عدواها إلى سنية ، عند ذلك التفت رجب

فى سمارة قائلاً

— إنه إجماع كما ترون

ولما لم تنبس حرك السيارة وهو يقول :

— نحن فوق الأرض لا على خشبة مسرح .

انطلقت السيارة فى سرعة رزينة وهو يقودها واجماً
مخشياً وقد غشاها صمت جنازى ، وانغمض أنيس عينيه ولكن

رأى الشبح الأسود وهو يطير فى الهواء . ترى أما زال يتالم ؟
ألم يعرف لماذا وكيف قتل ؟ أو لماذا وجد ؟ . أم انتهى إلى الأبد ؟ .
وهل تمضى الحياة كأن شيئاً لم يكن ؟ .

استمرت السيارة فى انطلاقتها حتى وقفت أمام العوامة ،
غادروها صامتين وتخلف رجب ليفحص مقدمها . واستقبلهم عم
عبده واقفاً ولكن لم يلتفت إليه أحد . وتبدت فى ضوء المصباح
وجوههم الشاحبة المنهزمة . وما لبث أن لحق بهم رجب بوجه
متصلب لم ير من قبل .

ولم يعد الصمت يحتمل فقال على السيد :

— ليس بمستحيل أن يكون حيواناً ! .

فقال أحمد نصر :

— الصرخة كانت صرخة إنسان ..

— ترى هل يؤدى التحقيق إلى التعرف علينا ؟

— لن نجنى من الفكر إلا الأرق .

وتتمم رجب :

— وإرادتنا بربنة !

فقالت سمارة :

— ولكن الهرب جريمة ..

فقال بحدة :

— لم يكن منها بد وقد أيدها الجميع .

وراح يتمشى بين الشرفة والبارفان ثم قال :

— إنى حزين جداً ولكن يحسن بنا أن ننسى الموضوع كله .

— يا ليتنا فنسى ..

— يا ليتنا فنسى .. أى تصرف آخر كان يعنى القضاء على
سبعة أيام .. وبهالة الأخرين ، وسوقى أنا إلى المحكمة .

وجاء عم عبده فنظروا إليه فى تبرم ولكنه لم يلحظ شيئا :
— أى خدمة ؟

فأشار له رجب أن يذهب فمضى قائلا :

— أنا ذاهب إلى المصلى ..

تساءل رجب بعد ذهابه

— ترى هل فهم المجوز شيئا ؟

— إنه لا يلهم شيئا .

فقال رجب معصية :

— يحسن بنا أن ننصرف .

فصدق خالد على قوله قائلا :

— العجر وشيك الطلوع .

ودهب خالد ولبللى وعلى وصنية ومصطفى وأحمد وقال

رجب لسمارة

— إنى اسف على تكدير مفوك ولكن تعالى لاوصلك .

فزت وأمسها بتقرز قائلة :

— ليس فى تلك السيارة .

— هل تؤمنين بالمفاريات ؟

— كلا ولكنها صدمتنى أنا ..

— لا تبالغى فى الخيال ..

— الحق أنى محطمة .

— على أى حال فلن أتركك ، سنصير معا حتى تجدى وسيلة
للمواصلات .

ووقف قبالتها ينتظر حتى قامت .

وتناهى إليه صوت عم عبده وهو يژذن فقال إثنى وحيد .
 وإنه يحسن به أن يدعو أحدا أو أن ينضم إلى أحد . ولوح بذراعه
 لليل وقال إن السر قد تبخر من رأسه فهو مفيق . وضحك من
 غرابة الفكرة . لكنه مفيق وها هو ليل الفجر بلا صوت يتحدث
 وليس للحوت من أثر . وأين بقية الغبارة هل دامت سيارة .
 والحاكم بأمر الله كان يقتل بلا حساب . ولما أمن بأنه إله حرم
 منى الناس الملوخية ، لماذا أذعنت للخروج معهم ؟ هكذا توجت
 قاتلا ، القتل والسرعة الجنونية والهرب ، والمناقشة المدببة وأخذ
 الأصوات فى ديموقراطية دامية . وبعثت الزوجة والبنت ثم ماتتا
 من جديد . ولن ينام الليلة إلا الميتون . والصرخة التى هزمت من
 كمال الأفلاك . مجهول من مجهول إلى مجهول . متى يرحم
 العقل نفسه ويمتسلم للنوم . وصعد الحاكم بأمر الله إلى قمة
 الجبل ليمارس أسواره العلوية ، ولم يعد . حتى اليوم لم يعد .
 ولم يعثر له على أثر ، وحتى الساعة لم يتوقف البحث عنه .
 لذلك أقول إنه حى . وقد راه رجل أعمى ولكن لم يصدقه أحد .
 وغير بعيد أن يتجلى للمساطيل فى ليلة القدر . أما الإنسان

المجهول فقد قتل النوم . وتربث بصره العائر عند الفريجيدير
 فوق أعلى بابها فاكشف لأول مرة وجه الشبه بين متحنى الباب
 وجبين على السيد ، وأيضا فهو له عينان تغورقان فى الضحك .
 وقالوا إن الحاكم بأمر الله قد قتل . كلا فمن كان مثله لا يقتل
 ولكنه إن شاء ينتحر . وقد ألقى نظره من فوق الجبل على
 القاهرة ثم أمر الجبل أن يذكرها ، ولما لم يصدع الجبل بأمره أدرك
 أن جهاده عبث فانتحر ، لذلك أقول إنه حى وغير بعيد أن يتجلى
 للمساطيل فى ليلة القدر .

وترامى إليه من الحديقة صوت عم عبده لدى رجوعه وهو
 يبسم فناداه فجاء الرجل من توره وهو يقول :

— لم تنم بعد ؟

فسأله بلهفة :

— هل أخذت بقية الغبارة ؟

— كلا

— فقتشت عنها فى كل مكان ولا أدري أين ذهبت ..

— لماذا لم تنم ؟

— فرغ رأسى فى الرحلة المشثومة ..

— يجب أن تنام فالصباح يقترب .

وعندما تحرك العجوز للذهاب سأله :

— يا عم عبده ألم تقتل أحدا فى حياتك ؟

— أوره !

فتأوه قائلا فى حنق :

ومضى يذهب ويجرى حتى تعب ، وانتقل إلى الشرفة
فاستلقى فوق شلّة ولكن حدة البقطة أياسته من النوم ، وخلو
العوامة من الكيف ضاعف من قلقه ووساوسه . وقال إنه يجب
أن يتحلى بصبر النجوم . وانطلقت مصابيح الطريق فاستقلت
الطبيعة بأكوانها . وتسلسل ضياء الفسق فصبح الأفق بلون
بنفسجي ضارب للقرنفل ، ثم انحسر الغيش عن مولد أشجار
الأكاسيا واللبخ . ونهض يائسا ومتحديا . أملم رأسه للصنبور
طويلا ثم تناول زجاجة حليب من الفريجيدير فشربها بلا رغبة .
وصنع بيديه قهوة فاحتساها . وضاق بالمكان فارتدى بدلته وغادر
لعوامة مبكرا ليتسكع في الطرقات حتى يآزف موعد الدواوين .
استقبل الطريق مفيقا لأول مرة . بباطن بعيد كل البعد عن
لسلطنة والخيال والضحك . وامتد الشارع أمامه طويلا تكتنفه
الأشجار السامقة من الجانبين تتدانى أعاليها على مرمى البصر
كجبين مقطب . لأول مرة يرى العوامات والذهبيات الراسية على
امتداد الشاطئ المرصع بحدائقها المتشابهة والمتباينة .
العجب أن لكل عوامة شخصيتها ولونها وشبابها أو كهولتها
ووجوه آدمية تتراعى في ثوافذها . وأعجب ما رأى نخلة محملة
بالبلح الأصغر وما كان يصدق أنه توجد على الشاطئ نخلة
واحدة . وثمة عديد من الأشجار مختلفة الأحجام والأشكال
والأزهار لا يدري عن أسمائها أو خواصها شيئا .
ومرت به قافلة من الجمال يقودها رجل فتماءل من أين أنت



ولاول مرة يرى العوامات والذهبيات
الراسية على امتداد الشاطئ ..

والى أين تذهب ، وداخله شعور كاليقين بأنها تزحف فى ضيق
مغمم بالتوتر والام . وقرأ على باب عروامة لافتة تعلن عن (دور
مفروش للإيجار) . ها هى شقة خالية ، وها هى امرأة لا بأس
بشكلها وعمرها تنظر نحوه من الدور الأعلى ، ولن يستطيع
الخيال أن يحمى الاحتمالات الممكن أن يصادفها ساكن جديد
أعزب . ولكن كيف يمكن أن ينطوى نهار المفيق ؟ واعترضه جذع
شجرة فاستوقفه لضخامته وغلظه فرفع عينيه إلى الفصون
المنتشرة فى الهواء كتبة هائلة مفروسة الهامة فى سحبات
لصباح الشظافة الدانية ، ثم رجع إلى الجذع المعمر هابطا إلى
جذور كالأمة متفرعة عن أصله وضاربة فى أرض الطوار كأنما
تنشب فيه أظافرها فى اندفاع متوترة غاصّة بالتحدى والام .
وهناك رقعة من اللحاء الخارجى قد تأكلت كاشفة عن طبقة من
للحاء الداخلى ذات لون أصفر باهت على هيئة بوابة قوطية
ستوت أمامه بطول قامته داعية إياه للدخول . وقال إن طول عمر
لشجرة - وحده - يكفى لإقناع من لا يريد أن يقتنع بأن النبات
كائن لا عقل له . ومضى وهو يعمّن النظر فيما حوله ومتسائلا فى
غرابية توى اللون الرجود أحمر أو أنه أصفر ، وهل لحاء الشجر
كجلد ميت . ولكن متى رأيت جلد ميت ؟ وثبت له أن شيئا ما فى
الطريق يعترضه متحديا معاندا مثيرا للام . وتذكر بفتة أنه لم
يخلق ذننه . وأنه لم ينس ذلك قط وهو مسطول . وأن ذلك
سيزيد من تعقيد الأمور . وسأله صوت عن الساعة فلم يعن
بإجابته ولم يلتفت نحوه . وسار متثاقلا حتى لوح له بائع الجرائد

بصحف الصباح فمضى عنه فى غير مبالاة .

إنه لم يقرأ جريدة منذ دهر طويل ، ولا يعرف من الأحداث
إلا ما تلوّكه ألسنة المساطيل فى هذيانها الأبدى . من الوزراء وما
السياسة وكيف تسير الأمور ؟ . انظر يا سيدى . ما دمت تصير
فى طريق شبه خال دون أن يهاجمك قاطع طريق . ما دام عم عبده
يجيئك . بالفبارة . كل مساء . ما دام الحليب متوفرا فى
الفريجيدير . فالأمور تسير حتما سيرا حسنا ، أما الام الإفاقة .
وحوادث السيارات ، وأحاديث الليل المغلفة ، فلم يعرف بعد على
من تقع مسئولية حلها .

وذهب إلى الادارة مبكرا . وما كاد يستقر على كرسيه الخشبى
حتى اجتاحتته رغبة لا تقاوم فى النوم فطرح رأسه على المكتب
وغاب فى سبات عميق . ودعاه زملاؤه إلى مناقشة عن لائحة
العقوبات فقال لهم إن خير ما تصلح به الحكومة هى لائحة
الوصايا العشر وبخاصة بند السرقة وبند الزنا وقادر العجزة إلى
القرية فأحاط به غلمان الصبا ورموه بالتواب فانقض عليهم
رافعا يده بحجر ولكن عذيلة قبضت عليها وقالت له أنا زوجتك
فلا تخربنى فسألها عن البنت فقالت إنها سبقت إلى جنة الخلد
وأنها تدور على الخالدين بالماء العذب وفرح جدا وقال لها إن عمرا
طويلا انتضى وهو يحاول عبثا أن يتذكر ذلك وأن طريق الجنة
محفوف بأشجار الجازورينا ويتعذر السير فيه ليلا ولكن السيارة
تقطعه فى ثوان مرهقة بالرعب ويصرخ الإنسان ولكن صوته
ينحبس فى حنجورته ولا يسمعه أحد فطارت فى الهواء ثم سقطت

فوق غصن شجرة فقال بعجب إذن هو أنت فقالت كيف لم تعرف فقال إنه الليل يقطر سوادا ولا يرى فيه شيء ويتكلم كثيرا بلا جدوى فقالت خبرنى عما تريد فقال أريد ما فتشت عنه فى كل مكان ولكن ها هو قادم على هيئة سحابة داجنة وعما قليل ستمطر السماء مطرة واحدة ولكنها تكفى لبل ريق المنصهر المعذب ثم مد نحوها ذراعه ولكنه لمع عم عبده قادما من أقصى الطريق راكضا بكل قوته لا يتوقف ولا يلتفت غير أنه شعر طيلة الوقت بالمعجوز وهو يوشك أن يطبق عليه وبلغ العوامة فاندفع فوق الصقالة ثم أغلق الباب وراءه ووجد لدهشته المجلس مكتلا والإخوان يتضاحكون كعادتهم فعانقهم وهو لا يصدق وقال لهم لقد حلمت حلما مزعجا فسأله رجب عما رأى فقال رأيت مجلسنا فى سيارتك وأنت تدفعنا بجئون فصدمننا رجلا فطار فى الهواء فضحكوا طويلا وقال له محمطنى أحكم اللحاف حولك عند النوم فناره قائلا اسطلونى فقدمت له سمارة الجوزة وهى تقوم على خدمتها فجذب منها نفسها طويلا عميقا حتى دار رأسه وجعل يضحك منها ويقول ألم نقل لك فنحت الجوزة جانبا وقامت فتمنطقت بالإشارب وراحت ترقص رقصة بلدية فدعاهم إلى التصليق ولكنه لم يجد منهم أحدا أجل لم يكن فى العوامة أحد سواهما فراح يصلق لها وحده ثم ضمها بين ذراعيه وهو يقول لقد فتشت عنك فى كل مكان وسألت عنك عم عبده وعند ذلك تهاوت الضربات فوق الباب وارتفع صوت عم عبده وهو يصيح افتح . فجراها من يدها إلى الفريجدير واندسا فيها ثم أغلق

الباب واشتدت الضربات حتى زلزل المكان واستمر الزلزال حتى فتح عينيه فرأى زميله وهو يهزه قائلا :

— صبح النوم !

دعك عينيه فقال الآخر :

— اذهب إلى المدير العام فإنه يريدك .

ونظر فى الساعة فإذا بها تدور فى العاشرة . قام متوترا ثقل القلب فمضى إلى المرفق ففصل وجهه ثم ذهب إلى مكتب المدير العام ومثل بين يديه . حدجه الرجل بنظرة باردة وقال :

— أحلام سعيدة !

فلم ينبس من الألم والقرف فقال الرجل :

— رأيتك بعينى فى سابع نومة وأنا مار أمام الإدارة .

— أنا مريض .

— كان يجب أن تطلب اجازة .

— لم أشعر بالمرض إلا عند حضورى .

— الحقيقة أنك مريض قديم ولا شفاء لك .

وجرفه غضب مفاجئ فهتف بخشونة :

— لا ..

— أنت تخاطببنى بهذه اللهجة !

— قلت إنى مريض فلا تهزأ منى .

— لقد جننت ما فى ذلك شك .

فصرخ بصوت كالرعد :

— لا

— يا مجنون ها هي عاقبة الإدمان !

— احفظ لسانك أحسن لك !

انتثر الرجل واقفا منتقع الوجه وصاح به :

— يا وقع يا مجرم يا مدمن ..

انقض بلا وعى على النشافة ورماء بها فأصابته صدره فوق

رباط الرقبة . ضقط الرجل على زر الجرس وهو يرتعد فصاح

أنيس

— ! إن نطقت بكلمة ثانية قتلتك !

أحاط به صمت ثقيل فى مكتبه ولكنه لم ير أحدا . جلس

سأهما منفصلا تماما عما حوله . حتى الأكم لم يعد يشعر به .

وقبيل الانصراف اقترب منه زميله وهمس فى إشفاق :

— يؤسفنى أن أخبرك بأن أمرا قد صدر بوقفك عن العمل

وإحالتك إلى النيابة الادارية .

— ١٧ —

استسلم للمقادير . وقال إن شر البلية ما يضحك . وهو
يتناول غداءه أخبره عم عبده بأنه لم يجد شيئا عند التاجر وبأنهم
أخطئوا فى إغفال نصيحته . والعمل ؟ . سيجرب حظه عند
تاجر آخر ولكنه غير متأكد من نتيجة مساه .

ها المصائب تتجمع كسحب الشتاء . واستلقى على فراشه
وراح يطالع فصولا عن عصر الشهداء . قرأ طويلا ولكن النوم لم
يأت . سقط شهيد فى إثر شهيد ولكن النوم لم يأت . وكره
الرقاد فقام يتسلى بإعداد المجلس . عندما تتكاثر المصائب يمحو
بعضها بعضها وتحل بك سعادة جنونية غريبة المذاق . وتستطيع أن
تضحك من قلب لم يعد يعرف الخوف . ولنا فوق ذلك نزهة لطيفة
فى النيابة الإدارية . ما اسمك بالكامل :

أنيس زكى ابن آدم وحواء . سنك : ولدت بعد مولد الأرض
بألف مليون سنة . وظيفتك : برومثيروس مسطولا . مرتبك : ما
قيمة خمسة وعشرون كيلو من اللحم البلدى . والتاجر على أى
حال يجب أن يوجد . ودخل الشرفة فجذب سمعه صوت عم عبده
وهو يؤم المصلين لصلاة العصر . تقدمهم كالطود واصطفوا خلفه

كالإقزام ما بين غليون عوامة وقروى وخادم . ومخزوت النيل قافلة
من المراكب الشراعية محملة بالأحجار . وتتابعت الأمواج سمراء
ضاربة للاخضرار فى هدوء رتيب كأن الطمانينة تحكم الكون .
واستوت على الشاطئ أشجار الأكاسيا كالبركات مستقلة بكون
آخر

وجاء عم عبده عقب الصلاة ولكنه وجد المجلس جاهزا .
ورجع أنيس إلى الصلاة وهو يقول له مداعبا :
— تطاردنى يا عجوز !

— رأيته فى المنام تطاردنى .

— خيرا أن شاء الله .

— ماذا تصنع لو طردتك من العوامة ؟
وهو يضحك :

— جميع الناس يحبون عم عبده .

— أتحب الدنيا يا عجوز ؟

— أحب كل ما خلق الرحمن .

— ولكنها كريهة أحيانا . أليس كذلك ؟

— الدنيا حلوة ربنا بطول عمرك .

— إياك وأن ترجع خالى اليدين .

— وربنا موجود .

وتلقت العوامة الهزة المألوفة فنظر أنيس نحو الباب ليرى
القادم المبكر . وما كاد عم عبدة يفتلى حتى ظهرت سمارة .

متجهمة شاحبة الوجه تعكس ميناها توجسا وقلقا وقد ركد ماء
الشباب فى وجهها ، صافحته فى البية ثم جلسا متباعدين .
وانتهبت إلى المجلس المد بفرابة وتمتمت .
— أيمكن أن تضى الحياة كما كانت ؟

— لا شيء يكون كما كان .

قالت وهى تنفض عينيها :

— لم أتم أمس دقيقة واحدة .

— ولا أنا ..

فتأوهت قائلة :

— مات فى جانب لا يعوض .

— الحق أن الموت يطاردنا بشدة منذ أمس .

مدت له يدها بالجريدة المسائية وهى تقول :

— جثة رجل فى الخمسين ، شبه عار ، كسر فى الفقار
والساقين وعظام الرأس ، دهسته سيارة وهرب الجناة ، لم تعرف
هويته كما لم يعرف له أهل .

قرأ الخبر ثم رمى بالجريدة قائلا :

— عدنا إلى الجحيم .

— لم نخرج من الجحيم .

— نحن لم نخرج من الجحيم .

— نحن فى الواقع قتلة .

— نحن فى الواقع قتلة .

ثم وهو ينظر إلى النيل :

والمعسل وسائر الأدوات المساعدة إلى النيل ، ثم ارتقى على
السلطة وهو يقول :

— اعتبروا العوامة منطقة خطر حتى ينجلي الموقف .
وتبادلوا نظرات كئيبة عارية من التصنع حتى تمت أنيس :
— الجنة ولت !

ولما لم ينبس أحد رجع يقول :
— كانت خرجة مشنومة ، لماذا فكرتم في الخروج ؟
فقال رجب بصوت حاد :
— علينا أن ننسى الماضي .

أجل لننس ولكن وجوهكم لا تريد أن تنسى . ونفخت سمارة
قائلة :

— كيف ننسى ووراءنا قتيل !

فقال بصوت أجش :

— لذلك يجب أن ننسى .

— ولكنه فوق المستطاع .

رماها بنظرة طويلة . لا يدرى أحد بما يدور في رأسه . ولا
يدري أحد عن محنة الحب شيئا . ترى أتموه الأمور أكثر مما
سألت ؟ . وقلب رجب عينيه في الوجوه ثم قال :

— خمنت ما سيحدث هنا من قبل أن أحضر . ونحن الآن
على بعد من الحادث يتيح لنا التفكير في هدوء . فعلينا أن
نتكاشف

فقال على السيد في ضجر :

— وفشلا عن ذلك فإننى دفعت إلى باب التشرد .

وقص عليها قصة المدير العام . وتبادلا نظرات ميتة وهى
تعرب عن أسفها . ثم سألت :

— ألك مورد غير الوظيفة ؟

فضحك ضحكة أغثت عن الجواب . وقال :

— إنهم يدفعون أجرة العوامة وكافة تكاليف السهرة .

— الرقت عقوبة فادرة الحدوث .

— سيقول لكل كائن إننى مدمن منحل !

— يا للبلاء لقد تراكمت المصائب .

وانطوى كل فى قوقته .

وإذا بالعوامة تخلف فى هزات متتابعة ثم جاء الصباح
جميعا بوجوه غريبة .

وقال أنيس لنفسه إنهم يتوقعون متاعب من ناحية سمارة .
وسأله رجب — وهو يشير إلى الجوزة — لماذا لا يعمل فاجابة بأنه
لا يوجد شئ . وقال لنفسه إنه يتظاهر بالاستهانة ولكن دون جدوى
وتبين أنهم اطلعوا على الخبر فى الجريدة . أجل . وما لبثوا أن
علموا بمأساته مع المدير العام . وتآوه على السيد قائلا : (يا
للمصائب) . وقال أحمد نصر باهتمام

— يجب أن نتخلص من الجوزة وأدواتها فى الحال .

وحدجوه باستنكار فاستطرد :

— لا أستبعد أن يعمل المدير على الإيقاع بالعوامة !

وفى تصميم قام من فورهِ وراح يرمى بالجوزة والكراسى



فقال رجب : جزائى السجن بلا ريب !!

— ألم نعتبر كل شيء منتهيا ؟

— يبدو أن لسمارة رأيا آخر !

فدلت سمية بفتق

— لا تعودوا إلى ذلك الحديث . إنى منهارة تماما .

وقالت لبللى

— قضيت ليلة جهنمية وأمامنا عذاب طويل ، حسبنا ذلك !

— ولكن يبدو — كما قلت — أن لسمارة رأيا آخر .

لتفت على السيد نحو سمارة وقال بنبرة رزينة حزينة :

— سمارة ، خبرينى عما ترين ، جميعنا محزونون معذبون ،

لم يذق أحدهنا النوم ، ليس بيننا من يحب القتل أو حتى يتصوره ،

ونحن نشاركك عواطفك ، وقد حز فى نفوسنا الخبر ، رجل مسكين

نعمه من مهاجرى الريف ، مجهول بلا أهل ، ولا سبيل أمامنا

إصلاح الخطأ ، هل من سبيل ؟ إذا ظهر له أهل فسنجد وسيلة

لتعويضهم ، ولكن ما العمل الآن ؟

لم تنبس ولم ترفع إليه عينا ، فواصل حديثه :

— لعلك تقولين لنفسك إن الواجب واضح . من الناحية

النظرية هذا حق ، كان يجب أن نتوقف لا أن نهرب ، وعندما

نتأكد من موته نغمس من فورنا إلى النقطة وندلى باعترافنا ،

ثم نقدم للمحاكمة لينال كل جزاءه ، أليس كذلك ؟

فقال رجب

— جزائى السجن بلا ريب !

— واللصبة المزرية للجميع بما فيهم أنت !

فقال مصطفى

— ولن يبعث الرجل بعد ذلك حيا ، ولن يفيد من تضحياتنا ..
وعاد على السيد يقول :

— إننى أعرفك خيرا من الآخرين ، فتاة مثالية بكل معنى الكلمة ، ولكن لا بد من شيء من المرونة لكى تواجه أعباء الحياة .
ليس الحادث المؤسف بقضية وطن ولا مبدأ ، المسألة بكل بساطة :
مجهول قتل خطأ ، وهناك مسئولية لا أنكر ، حماقة مألوفة ويا للأسف ، ولكن هل نهون عليك جميعا ، هل تريدين حقا التضحية
بسمادتنا وكرامتنا ، بل دعينى أقول بسمادتك وكرامتك أنت
أيضا ، فى سبيل لشيء ؟

تمتت وهى تتنهد :

— لن أصلح بعد ذلك لشيء !

— وهم لا أساس له ، آلاف يقتلون كل يوم بلا سبب ، والدنيا
بعد ذلك بخير ، ومستجدين دائما فرصة للعمل ، فلن يقعد بك
تسامحك الواجب نحونا عن نشاطك الصحفى الذكى ولا عن همك
المعروفة فى الوحدة الأساسية ، ولا ولا ولا ، بل لعله سيدفعك إلى

مصطفى

— كما يدفع أحيانا الشعور بالإثم ؟

— إنه ليس بإثمك على أى حال ، وهو خليق بأن يحملنا على
إعادة التفكير فى كل شيء ، ما رجب فقد تطور بالفعل ، بفضلك ،
على الأقل فیم يتعلق بنظراته نحو المرأة ، فكوى بذلك كله بقلب
سمح .

فقالت فى قهر شديد :

— إننى صائرة إلى موت محقق !

فقال خالد عزوز :

— كلنا صائرون إلى موت ..

— إنما أعنى موت أفظع .

— ليس ثمة ما هو أفظع من الموت .

— ثمة موت يدركك وأنت حى .

— لا لا ، لا يجوز أن يضمى بنا بدافع من تركيب لفظى .

وإذا برجب يصيح بانفعال غاضب شديد :

— ألا يهمك أن تنشر الصحف أنك كنت بصحبة رجال

سينى السمعة فى النصف الأخير من الليل وهم يعبثون
ويقتلون ؟

وهاجتها حدته فهتفت بحدة :

— لا يهمنى !

فتمادى فى الغضب صائحا :

— إنك تمثلين دور الشجاعة مطمئنة إلى معارضتنا

الاجتماعية ..

— كذب !

— إذن هلمى إلى النقطة ..

فصاح مصطفى راشد حائقا :

— إن ما نبنيه فى دهر تهدمه أنت بحماقتك فى ثانية

واحدة ؟

وقامت إليه متعبة فلامست يده ملاطفة وقبلت جبينه حتى
عدل عن المناقشة . ثم وقفت أمام سمارة وسألتها بركة .
- تعجبين حقا أن تضحي بنفسك وبنا ؟
- تحدثت بأصرار وهي لا تزال تحت وطأة الغضب
- نعم .

- سيمكر . فعسى بما ما تشائين
- قدر أن تنطق سمارة بكلمة دخل عم عبده فخرست
- سمارة . فعسى أنيس لداعة صغيرة وهو يقول
- حدثني بصوت مروع
- بعد أحمد مصر لأنيس
- بعض من في بحر
- د .

- لقد قلت ما فيه الكفاية .
- ليس أصوار من رقبها في الماء عند الضرورة
وتساءل عم عبده
- ماذا جرى ؟

فأعادها أنيس إليه ليمد فنجال قهوة فمضى بها الرجل .
وقد غير مجيئه الجو بعض الشيء . وساد الصمت حتى قال
مصطفى راشد متلصفا :
- مين أصابتنا ..
فقال خالد عزوز :
- فلنلك سجاثر لعل وعسى ..

وتهلل وجه على السيد بتفاؤل مباغت فقال بوجاه :
- أراهن على أن رجب سينجب أطفالا .
وذا بأنيس يضحك . ضحك رغم توتر أعصابه وقال -
- عملتم من الحبة قبة .
ولما لم يعمه أحد انتباهها قال -

- سمارة فتاة ذات مبادئ ولكنها امرأة ذات قلب
فنظروا إليه محذرين في استياء واضح ولكنه مضى يقول
- نحن مدينون للحب
وأكثر من صوت رجاء أن يسكت ولكنه أكمل قائلا
- فهو الذي أنقذنا من حكم المبادئ .
تأففت سمارة في عصبية ثم أجهشت في بكاء عنيف كنه
أعصار اجتاح أعصابها . واقترب على السيد منها متأثرا محذرا
تهديتها . أما رجب فقد انقض على أنيس صارخا
- أنت ! .. أنت !
وأهوى بقوة على وجهه بكفه .

قبض أحمد نصر على ذراعه إلى الورااء بشدة وهو يقول
بصوت منهدج

— أنت مجنون ! .. أى مصيبة وأى جنون ..

وكفت سمارة عن البكاء فاعرة فهاها . وحل صمت كالموت .
وتلقى أنيس الصلطة دون أن يتحرك . ونظر إلى رجب طويلا دون
ن ينبس . وأراد مصطفى أن يقترب ليواسيه ولكنه مد ذراعه
إلى الامام ليصده وهو يقول :

— عن أنك

— خطأ مفجع بلا أدنى شك ولكن المذنب صديق أبيض القلب
أعماه الغضب

فصرخ بصوت كالرعد

—

وجاء عم عبده كأنما يلبي نداءه وهو يقول :

— القهوة فوق النار .

فلوح بيده أن يذهب فذهب . وقام واقفا وراح يتمشى بعرض
الصالة ذهابا وإيابا . وجعل يكلم نفسه بصوت لا يسمعه أحد .

وفجأة وثب على رجب وأطبق يديه على عنقه . وبسرعة ضربه
رجب على ذراعيه ليخلص رقبته فنطحه أنيس في أنفه ثم انهالا
على بعضهما ضربا ولكما وركلا . واندفع الآخرون للحيلولة
بينهما ولكن أنيس ترنح وتهاوى ساقطا على الأرض . وظهر عم
عبده عند الباب فوقف ينظر ذاهلا ثم تمتع :

— لا .. لا ..

فأمره أحمد نصر بالذهاب ولكنه مضى يريد :

— لا .. لا ..

ثم تراجع تحت ضغط النظرات وهو يهز رأسه أسفا . وتعاون
مصطفى راشد وعلى السيد على مساعدة أنيس للجلوس على
الفوتيل وأحاط الآخرون برجب الذى راح يمسح الدم النازف من
أنفه . وبسط أنيس يديه على ذراعى الكرسي ومال برأسه إلى
مسنده ثم أغمض عينييه نصف أغماضة . وقامت ليلى وسنية
بإسفاف أولى فجاءتا بماء وقطن ومسحتا الدم عن شفته السفلى
وحاجبيه ثم بللتا وجهه وعنقه . أما سمارة فقد تقلص وجهها ألما
وغمغمت بكلمات لم يسمعها أحد . وضرب أحمد نصر كفا على كف
وهو يقول :

— لم أكن أتصور ..

فتتمم على السيد :

— بالخراب ! ..

— لقد ركبتنا الشيطان فلم يعد لنا من وجود ..

واغرورقت عينا سنية بالدموع وقالت :

— من يصدق أن يحدث ذلك فى موامتنا !

فمادت سمارة إلى البكاء ولكن دون أن يند عنها صوت ،
وفتح أنيس عينيه ، لم ينظر إلى أحد ، ومال على السيد عليه
وهو يسأل

— كيف حالك ؟

لكنه لم يجب فقال صاحبه

— سأعود طبيبا بعد إذنك ..

فمادت سمارة

— على ما مضى

فمادت سمارة فمادت سمارة حتى رحت نفسه وهو يود

فمادت سمارة

فمادت سمارة

فمادت سمارة

فمادت سمارة

فمادت سمارة

لم يبد على أحد أنه فهم شيئا . واعتدل هو فى جلسته . وقال

على السيد

— أنت الآن أحسن ؟

فقال بالهدوء نفسه

— كل شيء بهون إلا جريمة القتل ..

فمادت سمارة

— أعنى أن العدالة يجب أن نتحقق ..

— رجب على استعداد ..

فقاطعه :

— إنما أعنى قتل الرجل المجهول ..

تبادلوا نظرات غريبة ثم هز على السيد منكبيه قائلا :

— الأهم أن تعود إلى حالتك الطبيعية ..

— عدت إليها تماما فشكرا ، إننى أتكلم عما يجب عمله بعد

ذلك ..

— ولكننى لا أفهم ما تعنيه يا عزيزى ؟!

— ليس كلامى غامضا بحال ، إننى أعنى القتل المجهول ،

وأقول إن العدالة يجب أن تتحقق !

ابتسم على السيد ابتسامة حائرة بلهاء ثم قال :

— ها أنت ترانا فى غاية من التعاسة ولم يبق إلا أن نتفجر

هاكين ..

— يجب أن تأخذ العدالة مجراها ..

— الكلام يتعبك ولا شك .

— يجب الإبلاغ عن الجريمة فورا ..

— إنك لا تعنى ما تقول .

— بل أعنيه بكل دقة ووعى ..

— شيء لا يصدق ..

— صدقه فهو حقيقى مؤكد .

— ولكن القضية لم تهلك قط !

— لا يهمنى الآن سواها ..

وجاء أحمد بكأس ويسكى ولكنه رفضه شاكرا فأراد أن يلف
له سيجارة إلى أن تنضج القهوة ولكنه قال بأنه سيفعل ذلك
بنفسه فى الوقت المناسب . وقالت له ليلى بوجاء :

— بالله لا تزدنا تعاسة !

— إنه قضاء لا رة له ..

— لقد انتهينا من ذلك وسمارة نفسها قد رحمتنا ..

— قلت مافيه الكفاية ..

وقال خالد بمصيبة :

— يا جماعة علينا أن نذهب ، لقد مسنا الجنون ولن يزيد

جتماعنا إلا استفحالا

— ولكنى سأذهب إلى النقطة بنفسى فليكن ذلك فى علمكم ..

تركزت عليه الانظار بذهول . وحول رجب وجهه إلى النبل

لينفخ غضبه فى الهواء . وقال أحمد نصر :

— لست فى كامل وعيك

— بل فى كامل وعيى

— أتدرى ماهى العواقب ؟

— أن ينال كل جزاءه

نصاح رجب بأعلى صوت

— إنه يائس مرفوت ولا يهمه فى شيء أن يندك المعبد على

من فيه !

نصاح به على السيد :

— اسكت أنت . إنك المسنول الأول من كل شيء فلا تنطق

بكلمة .

ثم التفت إلى أنيس قائلا بحرارة :

— أتصورت حقا أن نتخلى عنك فى محنتك ؟ . ليس من

المحتوم أن ترفرت ، وإذا رفرت فنحن وراءك ومعك حتى تجد عملا
آخر .

— شكرا ولكن لا علاقة بين هذا وذاك ..

— بالله كن معقولا ، لا سبب فى الدنيا كلها يبور موقفك .

حتى سمارة اقتنعت برأينا ، إنى لا أفهمك !

نصاح رجب :

— ألا تفهم حقا ؟

— اسكت أنت .

— ألم تفهم أنه مصمم على الانتقام منى ؟

— اسكت أنت .

— لقد جن ولا فائدة من مناقشة مجنون .

.. — قلنا لك اسكت .

— فلتدك السماوات على الأرض قبل أن أسمح لدمى مجنون

بأن يدمر مستقبلى .

وأرادت سمارة أن تقول شيئا ما ولكن رجب لوح نحوها

بقبحته غاضبا وصاح :

— ماذا تريدون يا رأس البلوى ؟

فانكمشت فى زعر ، أما رجب فانقلب مجنونا ووثب

الانقراس من سمحته ثم صرخ :

— إذا لم يكن من تهمة القتل بد فلتكن جريمة قتل حقيقية .
تكتل الرجال حوله في تصميم وجعل أحمد يقول يا أبا :
— كارثة .. مستقع كارثة فقتلنا جميعا ..

وضهر عم عبده مرة وهو يقول
— وحدوا الله !

فصاح به أحمد نصر
— عر .. اذهب بعيدا وإياك أن تعود !
ولما ذهب العجوز قال لأنيس

— أنيس ، ها أنت ترى ، باسم صداقتنا أعلن أنك لا تعنى ما

نقول ..

— من أنت ؟

— ديمك ودين أهلك !

والتفت نحو سمارة داعيا إياها بنظرة جزعة وجلة إلى
لتدخل . وتركزت الأنظار عليها واضحة في حثها على الكلام وفي
تحميلها مسئولية ما وقع معا . وركبها القهر والحرج . ونظرت
نحو أنيس ، وازدبرت ريقها ، ثم همت بالكلام ولكنه سبقها قائلا :
— لا تراجع . أنسم لكم على ذلك !

وهجم رجب محاولا فك الحصار المضروب حوله ليثب عليه
ولكنهم شدوا في حصاره وقبضوا على ذراعيه ووسطه . وبذل
كل قوته للتخلص من أيديهم دون جدوى . وعند ذاك قام أنيس ثم
سار نحو باب المرائق فاختلص دقيقة ثم رجع قابضا على مكين



أما رجب فانقلب وحشا مجنونا
ووثب الافتراس من سمخته !

المطبخ ووقف بين الباب والغريجيدير متوثبا للدفاع عن نفسه حتى الموت . وصرخت النساء . وهددت سنية باستدعاء البوليس عند أول بادرة شر . وضاعفت السكين من ثورة رجب فانها على أنيس سبا وقذفا . وكرر المحاولة للوثوب عليه حتى صاح خالد عزوز :

— يجب أن نذهب في الحال .

فصرخ رجب :

— سأقضى عليه قبل أن يقضى على .

ولكنهم دفعوه نحو الباب الخارجى رغم مقاومته .

ومغنت حركاته للتخلص منهم فعتف كذلك اصرارهم حتى انقلب ما بينهم إلى ما يشبه المعركة . وهددهم إذا لم يتركوه بالضرب فهددوه بدورهم بالضرب .

وتابع أنيس المنظر بفراية . إنهم يتصارعون ، الوحش يريد أن يقتل . استماتوا في الدفاع فلم يغلبهم .

وكف فجأة عن الهجوم . ها هو يقف جامدا وهو يلهث ثم ينتفض غضبا . وبرقت في عينيه نظرة جنونية ، وصرخ :

— إنكم تتوهمون أنني وحدي المسئول !

— لنذع الكلام حتى تغادر العوامة .

— لقد هربتكم متى !

— فلنتكلم في الخارج بهدوء .

— كلا يا أوغاد . إني ذاهب ، سأذهب إلى النقطة بنفسى .

إنى أتحدى الخراب والموت والشياطين ..

واندفع إلى الخارج وهم في أعقابيه . وتبعتمهم في الحال سنية وليلى . ارتجت العوامة ومادت تحت الأقدام الثقيلة الغاضبة .

وضع السكين فوق الخوان ومضى إلى أقرب شلته ثم جلس غير بعيد من سمارة . نظر كلاهما إلى الليل خارج الشرفة مستسلما للصمت والوحدة . لم يتبادلا نظرة ولا كلمة ولكنه قال لنفسه إن الدنيا قد زلزلت وأنها على وشك الانفجار . وشعر بأقدام تقترب مألوفة اللفة ، فلم يلتفت حتى وقف المعجوز وراء ظهره وقال :

— ذهبوا ...

فلم يجبه فعاد الآخر يقول :

— لعب الشيطان بكم حتى شبع .

فلم يخرج من صمته فقال المعجوز .

— جنتك بالقهوة .

فتحسس فكيه وقال :

— أتركها أمامى .

— خذها في الحال من يد مباركة لتسكن الألم .

وقرب الفئجان من فيه باصرار حتى احتسأه فقال المعجوز :

— لتكون هذه المرة للشفاء .

ثم تحول عن موقفه ماضيا نحو الباب ولكنه توقف عند البارفان وقال :

— اعترفت أن أفك سلاسل العوامة لو كان عاد إلى ضربك !

فقال أنيس بدهشة :

لكننى كنت سافرك مع الآخرين ؟
فقال وهو يغمض :
على أى حال ربنا ستر !
وضحك أنيس ضحكة خافتة ، وسألها :
أسمعت ما قال العجوز ؟
فسألت بدورها :
ألا ترى أنه يجب استدعاء طبيب ؟
كلا ، لا حاجة إلى ذلك .
وأشعرت إثارة الموضوع بالآلم من جديد ولكنه كان طفيفا
وكانت القهوة قد استقرت فى معدته .
وسألت مرة أخرى :
أيذهب حقا إلى النقطة ؟
لا أدري شيئا عما يقع فى الخارج .
فترددت قليلا ثم سألت :
ما الذى جعلك ..
وقطعت عبارتها فأدرك معناها ولكنه لم يجب فسألت :
الغضب ؟
ربما .
ربما ؟
ثم وهو يبتسم :
وأردت أيضا أن أجوب قول ما يجب قوله !
تفكرت قليلا ثم سألت :

لماذا ؟

لا أدري بالضبط ، ربما لامتنحن كيف يكون أثره .
وكيف وجدت ؟
كما رأيت .
ألا تنوى أن تبلغ بنفسك إذا لم يفعل ؟
أنتك لا تريدين ذلك !
فتنهدت قائلة :
كان الموقف فوق طاقتى فانهزمت .
ولكن التجربة أثبتت أنه ممكن ؟
ولكن يبدو أنك لن تسير فيها إلى النهاية .
لا سبب لذلك عندى مثلك ..
ها أنت تعود إلى قتلى !
فصمت مليا ثم قال :
إنك تحبينه ، أليس كذلك ؟
فلاذت بالصمت متجاهلة ترقبه ، فقال :
أوجدته مختلفا عن الرجل الممتاز الذى رفضت من قبل ؟
فقالت بنبرة متشكية :
روح القتال لم تفارقك بعد .
ليس شئ ما يخجل فى ذلك فهو رجل ممتاز أيضا .
ولكنه بلا أخلاق !
لم يعد للأخلاق وجود ، حتى أحمد نصر ؟
أود أن أقول إنك متشائم ولكن لا حق لى فى ذلك .

— على أى حال ستحميهم لا أخلاقياتهم من ارتكاب حماقة أخلاقية ، وسوف يعود إليك الحب !
 — عذبتى كيف شئت فبانى استحققه وأكثر .
 فضحك ضحكة أشعرته بالآلم فكبه وقال :
 — وها أنا أعترف لك بأن الغيرة كانت باعثا من باعث سلوكى الغريب !
 فحدثت بنظره داهشة فابتسم قائلا :
 — لا يصح أن أخدعك . فقد تتوهمين أن إحدى شخصيات مسرحيتك قد تطورت إلى النقيض بتأثير كلامك أو بدافع حدة التجربة ، فأوقعك فى نهاية مفتعلة !
 لبثت ترامقه بدهشة ، فقال :
 — وثمة نهاية أخرى لا تقل من السابقة سخفا وهى أن تبادلبنى الحب !
 ففخت من عينيها وهى تسأله :
 — فكيف ترى النهاية ؟
 — هذه هى مشكلتنا لا مشكلة المسرحية وحدها ..
 — لكنك تكلمت عن قول ما يجب قوله ؟
 — ذلك حق . لم يكن الغضب ولا الغيرة وحدهما ، ولكن خطر لى بعد ذلك أن أقول ما يجب قوله ، وأن أقف موقفا جادا لامتحن أثره ، فوقع زلزال لا ندري شيئا عن عواقبه . وحتى أنت انهزمت !
 — إنك تمثل بجنتى ..

— بل إننى أحبك .
 تجلت فى عينيها نظرة حزن عميق وقالت :
 — أعترف لك بأننى محيرة على أن أكون جادة أكثر منى جادة بالفعل ..
 — هاتى ما عندك بسرعة فإن القهوة على وشك !
 — فى أوقات الراحة من العمل يعترضنى العبث كأنه وجع الأسنان .
 — ذاك بعض أعراضه .
 — ولكننى أحاربه بعقلى وإرادتى .
 فقال ساخرا :
 — لا يبعد أن تجدى التطور الضرورى فى المسرحية فى تطور البطلة إلى الوراثة !
 فأحدثت قائلة :
 — كلا .. كلا .. إننى مصنعة .
 سكبت إشفاقا فقالت :
 — ومع ذلك فبانى مقتنعة بأن المسألة ليست مسألة العقل والارادة وحدهما ..
 — إذن ماذا ؟
 — أتعرف لعبة الساقية فى لونا بارك ؟
 — كلا .
 — إنها تدور بركابها من أسفل إلى أعلى ومن أعلى إلى أسفل ..

— وبعد ؟

— عندما تكون صاعدا فإنك تتلقى إحساسا صاعدا بطريقة تلقائية . وعندما تكون هابطا فإنك تتلقى إحساسا هابطا بطريقة تلقائية كذلك ، وبلا تدخل — فى الحالين — من العقل أو الإرادة ؛ قال زبدينى شرحا وتذكى القهوة :

— نحن من الركاب الهابطين ..

— والعمل ؟

— ليس لنا إلا العقل والإرادة !

— والهزيمة ؟

— فقالت بحدّة :

— كلا .

— هل تعدين نفسك مثالا للانتصار ؟

— من الركاب الهابطين من جاوز نفسه وحتى من أهلكها .

وراحت تتكلم عن الأمل فتظر إلى الليل . ورفرف الليل بجناحيه فتناثرت الأموار كالنجوم . واستحال كلامها وشوشة منبعثة من تهويمات حلم . وشيء حدث بأنه مما قليل سينشق سطح الماء القائم عن رأس الحوت .

وقالت له :

— إنك لم تعد معنى .

فقال محدثا نفسه :

— أصل المتاعب مهارة قرد !

— تعلم كيف يسير على قدمين فحرر يديه .

— هذا يعنى أنه يجب أن أذهب .

— وهبط من جنة القروء فوق الأشجار إلى أرض الغابة .

— سؤال أخير قبل أن أذهب : أديك خطة للمستقبل إذا

تأزمت الأمور ؟

— وقالوا له عد إلى الأشجار وإلا أطبقت عليك الوحوش

— أتستحق معاشا مناسبا إذا لا سمح الله رقت ؟

— فقبض على غصن شجرة بيد وعلى حجر بيد وتقدم فى

حذر وهو يمد بصره إلى طريق لا نهاية له .

To: www.al-mostafa.com